دار
الهمداني
للطباعة والنشر - عدن

آفاق المعرفة | ١٢

العالمان السوفيتيان : ج.م باوير
أ . لوندن

تاريخ اليمن القديم

جنوب الجزيرة العربية في أقدم العصور

ترجمة : أسامة أحمد

تاريخ اليمن القديم

جنوب الجزيرة العربية
في أقدم العصور

كتبه العالمان السوفياتيان :
ج . م . بايور
أ . لوندن

ترجمة : أسامة أحمد

الطبعة الاولى

١٩٨٤م

دار الهمداني للطباعة والنشر ، المعلا - عـدن

صمم الغلاف : نصير عبدالاله

لقد كانت الجزيرة العربية بقعة من البقاع التي سكنها الإنسان منذ أقدم العصور التاريخية . فقد كان الطقس فى الالف العاشر والالف الثامن ق . م فى هذه البقعة يختلف كثيراً عما هو عليه اليوم اذ كانت الأمطار تهطل بغزارة وانسابت الأنهار من أعالى الجبال لتملأ الوديان والسهول وغطت الارض بالاعشاب التي ترعى بها الخيول والغزلان والأبقار المتوحشة والأسود والنمور .

وفى منحدرات الجبال نمت الغابات الكثيفة وقد اعتمد الإنسان البدائي فى جنوب الجزيرة العربية فى حياته على اصطياد الحيوان وقطف الثمار الصالحة للطعام مستعملا لذلك الغرس ورؤوس الاسهم والسكاكين الحجرية والعصي وما شابهها .

وفى اليمن أبقى الزمن على بعض المبانى المشيدة من القطـع الحجرية الضخمة التى قطعت بطريقة بدائية والتى يعود تاريخها للفترة التى عاش فيها الانسان البدائي . ولكنه ما زال مجهولا بالنسبة لنا الهدف والغرض الحقيقي من تلك المباني . وبشكل عام فان علماء الآثار يقسمون العصر، الذي كان إستعمال الاودات الحجرية السمة المميزة له ، حسب المستوى التكنيكي لتلك المصنوعات الحجرية - إلى عنصر حجري قديم وأوسنة وحديد . وقد تم العثور فى شمال محافظة لحج (*) ، بجمهورية اليمن الديمقراطية ، على بعض أقدم الادوات الحجرية التى استعملها الإنسان البدائي قبل خمسمائة الف سنة مضت . كما تم العثور فى اليمن الشمالى وفى نجران والربع الخالى وفى وادي حضرموت على أدوات حجرية يرجع تاريخها للمائة الف عام ق . م (العصرين الحجري القديم والاوسط) . أما المباني والمواقع السكنية المميزة للعصر الحجـري الحديث فقد تم الكشف عنها فى معظم الاراضي اليمنية .

وقد حدثت بعض التحولات فى الظروف المناخية للمنطقة بعد الألف الثامنة ق . م . مما دفع بالإنسان للبحث عن وسائل جديدة لتوفير الطعام والملبس والمسكن لنفسه . وفى تلك الفترة بدأت المحاولات الجادة لتأليف بعض الحيوانات التي يمكن الاستفادة من لحومها وألبانها وفرائها . ويعود ظهور أولى القبائل الرعوية فى اليمن ، فى الغالب ، للالف الخامسة والرابعة ق . م . وبجانب ذلك استمر الصيد وقطف الثمار تلعب دورها الهام فى توفير الغذاء للانسان . ونجد أن الإنسان فى البداية أخذ فى

---

* في النص الأصلي المحافظة الثانية.

استئناس الحيوان فقط . وفيما بعد أخذ فى توليــد انواع جديدة من الحيوانات ذات الإنتاجية الأكبر ، وقد تم توليد نوع جديد من الضان فى نهاية الالف الثالثة ق . م . ونستقي معلوماتنا عن تلك الفترة النائية من تاريخ تطور الانسان البدائي فى اليمن من الرسومات الصخرية .

وبتراكم التجارب لدى الانسان الناتجة عن ممارسة عملية قطف الثمار والتقاط المحصولات الصالحة للطعام بدأت تتكون عنده الفكرة العامة عن الزراعة فى الاراضي التى تجاور موقعه السكني . هذا وقد تطب صراع الانسان العنيف مع قوى الطبيعة بذل مجهودات جماعية تتسم بالنظام الدقيق وبالمساعدات المتبادلة . وقد كونت المجموعات على أسس العلاقات العائلية حيث قسمت تلك المجموعات حسب السن . ويقع على عاتق كل مجموعة عبء القيام بعمل محدد . كما كان هنالك نوع من تقسيم العمل بين الرجال والنساء ، حيث يقع على عاتق النساء واجب القيام بالاعباء المنزلية بالإضافة للقيام بأعباء قطف الثمار وجني المحصولات التى تنتجها الزراعة البدائية .

وكانت إدارة شئون المجموعات تخضع لممثلي الأجيال الأكبر — اكابر العشيرة — لخبرتهم الحياتية . ويعرف هذا النوع من المجتمعات فى المفهوم المادي للتاريخ بالتركيب العشائري البدائي .

١ ـ ا

يصبح
باستثنا
المناخي
وعند
بانتاج
تعطي
عملية
التحس

جنوب الجزيرة العربية

من الالف الثانية حتى بداية القرن العاشر قبل الميلاد « نشوء الدول العبردية »

١ – القبائل السامية في اليمن :

لقد أدت التحولات فى الظروف المناخية التى شهدتها المنطقة لأن يصبح جزءا كبيرا من شبه الجزيرة العربية صحراء او شبه صحراء باستثناء الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة حيث ظلت الظروف المناخية بشكل ما أكثر ملاءمة وخصوبة لحياة الانسان وتطور إقتصاده . وعندما نقول ظروف مناخية ملائمة انما نقصد ظروف جغرافية تسمح بانتاج كمية من المنتجات لا تكفي فقط لدعم حياة المجموعة المعنية وانما تعطي مجالا لتراكم نوع من الفائض الانتاجي الضروري للتوسع فى عملية الإنتاج . ومن اهم خواص مثل هذه الظروف الدور الذي تلعبه فى التحسينات التي يدخلها الانسان على ادوات الانتاج والمستوى المعيشي .

وبداية الالف الثانية ق . م . كانت الظروف الجغرافية فى اليمن قد اتخذت الطابع الذى نراه اليوم . وفى نفس تلك الفترة (نهاية الالف الثالثة بداية الالف الثانية ق . م .) بدأت بعض القبائل السامية من التسلل إلى (اليمن). وكان اسلاف تلك القبائل قد هاجروا من شمال افريقيا فى بداية الالف الخامسة ق . م ليستقروا فى سهول سوريا ومن ثم بدأ انقسامها حيث هاجر منها لارض ما بين النهرين وقسم ثانى استقر فى منطقة شرق وجنوب شرق البحر الابيض المتوسط بينما استمر جزء ثالث يترحل تبعا للمراعي فى سهول سوريا . وقد اسس احفاد كل هذه الاقسام السامية دولة الاكاديين والبابليين وآشور من أرض ما بين النهرين ودولة الفينيقيين واسرائيل ويهودا فى الغرب. كما اصبحوا مؤسسين للقبائل العربية فى شمال واواسط الجزيرة العربية ، وكذلك قبائل جنوب الجزيرة العربية.

ومن خصائص الظروف الطبيعية لجنوب الجزيرة العربية التكوين الارضي المتموج والضيق النسبي للوديان الصالحة للزراعة ، وقد ساعدت هذه الخصائص على استقرار المهاجرين فى مجموعات قبلية متفرقة الشيء الذى ادى لنشوء مصادر حضارية منعزلة بعضها عن الآخر. ومما يدل على هذه العزلة ونتيجة لها ما نراه من تعايش اربع لغات فى منطقة ليست بالكبيرة خلال فترة طويلة من الزمن . وما زالت هنالك العديد من نتائج تلك العزلة التى تميزت بها حياة القبائل السامية ما زالت تجد انعكاسها بشكل او بآخر فى الحياة اليمنية المعاصرة .

وقد تم الاستقرار أولا فى المناطق الجبلية والوديان التى ترويها مياه الامطار المتدفقة من أعالى الجبال وكذلك فى المناطق الواقعة على فوهات السهول الجبلية والشعاب اذ ان كل تلك المناطق كانت مناسبة للزراعة .

وحتى الآن ما زلنا نجهل الاسباب والدوافع الحقيقية التى حدت بالقبائل التى شكلت فيما بعد الساميين الجنوبيين ، بالهجرة الى الجنوب عبر طريق مليء بالمشاق والصعاب من المحتمل أن يكون السبب فى ذلك سوء وتردى الاحوال المناخية فى سهول سوريا أو أن هجرتهم جاءت نتيجة لضغوط التى عانوا منها من قبائل أو ممالك محاربة شرسة. وأغلب ما يكون أن العاملين معا قد تسببا فى الهجرة جنوباً . إلا انه تمكننا القول بأن تلك القبائل هاجرت فى الغالب ،من الاجزاء الغربية لسهول سوريا. وكانت تلك القبائل تعيش فى ظل علاقات عشائرية وأحرزت مستوى عال من التطور . لقد عرفت تلك القبائل الزراعة التى اكتسبوا خبرتها فى موطنهم السابق بالشمال وكذلك عرفت بعض فنون البناء . وقد تعرف أهلها على الكتابة نتيجة مجاورتهم لبعض الشعوب المستقرة والاكثر تطورا حضارياً . وفيما يتعلق بالعقائد الدينية فان تلك القبائل كانت لها مفاهيمها المحددة حول الالهة والمعبودات المتعددة .

٢ـ الدويلات الاولى فى اليمن :

بازدياد ونمو عدد السكان فى منطقة جنوب الجزيرة العربية أصبح من الضروري إستغلال كل شبر من الارض صالح للزراعة خاصة فى منحدرات الجبال بالإضافة لاستصلاح الاراضي الجديدة . وقد أصبحت المشكلة الأساسية التي تواجه سكان سفوح الجبال الشرقية ايجاد حل وخلق إمكانية لاستغلال مياه الفيضانات المنحدرة من أعالي الجبال بعد هطول الأمطار الصيفية وتكون أنهاراً مؤقتة حالما تمتصها رمال الصحراء العطشى .

وقد تم النجاح في إيجاد حل لإحدى تلك المشكلات في النصف الثاني من الألف الثانية ق . م . بعد التمكن من استغلال الحواجز الحجرية لبناء نوع خاص من السدود التي تعيق اندفاع المياه وتحولها إلى قنوات جانبية توزع بواسطتها المياه على الحقول المزروعة . وفي نفس تلك الفترة بدء السكان في الجبال نظام المدرجات للحفاظ على مياه الأمطار واستغلالها في أوقات الجفاف.

وباكتشاف نظام الري الصناعي في جنوب الجزيرة العربية في الألف الثانية قبل الميلاد تمكن السكان من تحقيق تطور ملحوظ في الزراعة بالرغم من أن المستوى التكنيكي للعملية الزراعية نفسها ما زال متخلفا إذ استمر المحراث الذي يجره الحيوان ، بينما استمرت المعاول اليدوية هي المستعملة في المناطق الجبلية ، وقد ظهر نتيجة لذلك وضع فريد حيث يواجه نظام متطور للري الصناعي تكنيك بدائي . وبالرغم من أن معظم المساحات كانت تزرع بالغلال إلا أن النباتات الغربية انتشرت بكثرة أيضا بالإضافة إلى الخضروات والفواكه المختلفة .

وقد لعب الرعي دورا مساعدا وإن كان محدودا في تربية الحيوانات التي تستعمل كقوة جرارة أو للمواصلات . إلا أنه ومنذ القدم فقد نجح البدو في تربية الأبقار والأغنام والجمال والحمير . أما الجمال فإن انتشارها يرجع - في الغالب - لمنتصف الألف الأول ق . م . وخاصة في المناطق الشمالية بل في العراق ومصر ، أما الأحصنة فيرجع تاريخ ظهورها للقرن الثاني الميلادي .

ويرجع ظهور القبائل الرعوية ، التي لعبت فيما بعد دورا هاما في اقتصادها في جنوب الجزيرة العربية للقرنين الثاني والثالث الميلادي

وفي الغالب يعود ذلك لعدة من الأسباب منها تكاثر الأملاح في بعض الأراضي ، الشيء الذي جعلها غير صالحة للزراعة .

وقد أدى ضمان وجود المياه بطريقة منتظمة للارتفاع بمستوى إنتاج الغلال والنخيل مما دفع بأعداد كبيرة من الناس للاستقرار في مناطق الواحات وتحسين المستوى المعيشي لأسرهم . وبظهور إمكانية انتاج فائض أصبح إستغلال عمل العبيد شائعا الشيء الذي أدى بدوره للإزدياد المستمر للانتاج ولتطور التجارة . وقد أدى الازدياد المستمر لعدد السكان وتمركزهم في مناطق الانتاج إلى تضارب مصالح الواحـات المتجاورة وبالتالي للهجمات بغرض النهب والسعي وراء العبيد .

وفي المراكز الأساسية لتلك الواحات اختلفت في التكوين نظم محددة لإدارة شؤون المجموعة العشائرية والتي يقف على رأسها مجلس للأكابر ينتخب بين أعضائه قائداً حربياً وزعيماً للمجلس نفسه . وبالإضافة إلى ذلك يوجد الإجتماع الشعبي الذي يشترك فيه رؤساء كل الأسر الحرة .

وتدريجيا أصبحت هنالك حاجة لوجود جهاز معين يشرف على العبيد والدفاع عن العشيرة ، أي الواجبات التي يصعب على مجلس الأكابر القيام بها ، فظهر جهاز الدولة – وتحولت الواحة بالتالي إلى ممالك مدن . وهكذا ظهرت كل من نشق ونشن ونجران و غيرها من الممالك والمدن .

وفي نهاية الألف الثانية ق . م . نتيجة للمنافسة وللحروب الدامية بين تلك الممالك – المدن الصغيرة بدأت تتكون تحالفات بين بعض الدويلات مما أدى فيما بعد لظهور ممالك ودول من أمثال نجران وسبأ وقتبان وأوسان وحضرموت .

نجران : تعتبر نجران الحد الشمالي الاقصى لانتشار الحضارات الزراعية فى جنوب الجزيرة العربية . وما تزال نجران حتى يومنا هذا من أكبر وأغنى المناطق الزراعية فى اليمن ، وفى القدم نشأت فى داخل حدود هذه الواحة مدن كثيرة كانت جمة (نجران فيما بعد) من أكبرها. وقد كانت الاراضي التى تقع تحت نفوذ نجران هى المنطقة التي نشأت فيها فيما بعد دولة معين (منطقة الجوف حاليا بشمال اليمن) . وقد امتدت المدن فى هذه المنطقة على طوال امتداد وادي مذاب . وما زالت بقايا بعض تلك المدن ظاهرة على سطح الارض مثال : نشق ونشن وهرم وكنهوم قرنو ويثل .

ومن الوديان الجبلية والهضاب الواقعة فى أواسط اليمن امتدت منطقة الاتحاد السبئي . وقد استقرت فى هذه المنطقة قبائل مختلفة تربطها صلات القرابة وهى سمعاى التى كان مركزها فى مدينة حدكان. وكانت هذه المنطقة كثيرة الخصوبة وغنية بالامطار ، ومازالت حتى الآن من أكثر المناطق المأهولة بالسكان . ويعتبر وادي رجفان ووادي حريب من المناطق الهامة والحيوية للدولة السبئية . إلا أن منطقة وادي اذنه ، ذلك الوادي الذى يصب فى واحة مأرب حيث قامت عاصمة دولة سبأ فيما بعد ، لعبت الدور الاساسي . ان وادي اذنه يجمع فى نفسه عدداً كبيراً من الفروع الجبلية التى تنصب فيه ، ويمر عبر مضيق بين الجبال ومن ثم يتحول لواد عريض ، وفى هذا المضيق بالذات انشئ فيما بعد فى القرن السابع قبل الميلاد سد مأرب الشهير . وفى غرب مأرب فى النقطة التى يتم فيها انفصال وادي اذنة عن وادي الخشمة (؟) قامت مدينة صرواح العاصمة الاولى لدولة سبأ .

والمنطقة الواقعة جنوباً شكلت فى الماضى جزءاً من دولة قتبان وترويها الامطار الغزيرة . ومازالت هذه المنطقة بجبال ضحل مزدحمة بالسكان من القبائل الزراعية . ويشكل جبل كاران الحدود الجنوبية لها . وشرق هذه المنطقة يقع وادى حريب الكبير الذى يلعب دوراً كبيراً فى اقتصاديات قتبان القديمة . وفى هذا الوادى تم الكشف عن بقايا مدن قديمة وكذلك بقايا سور ، فى الغالب ، ماكان الهدف منه حماية الجانب الشمالى من الوادى ، وفى شرق وجنوب شرق وادى حريب فى حوض وادى بيحان قامت عاصمة دولة قتبان تمنع . وفى وادى بيحان انشئت اعظم المعابد القتبانية ، وجنوب هذه المنطقة فيما وراء جبل كاران تبدأ منطقة ردمان الغزيرة بسكانها والتى ترويها مياه الامطار . وتحتل هذه المنطقة الهضبة الجبلية وتمتد لمسافات بعيدة جنوباً ، وهنا وعلى امتداد وادى بنا وابين نشأت مراكز دولة اوسان الممتدة حتى البحر وتذكر المخطوطات انه وفى هذه المنطقة قامت مدن رداع ، وعلان وكدار .

وتقع المنطقة الوسطى من دولة حضرموت فى وادى حضرموت الذى نشأت فى ركنه الشمالى الغربى عاصمة الدولة – شبوة . وبفضل مناخ تلك المنطقة خاصة فى خليج الكامار نجد أن المناطق الجبلية امتلأت بأشجار البخور .

بهذا يمكن القول انه وفى عصر تكوين الدول القديمة فى الجزء الجنوبى الغربى لجزيرة العرب ، فان تلك الدول نشأت فى منطقتين جغرافيتين مختلفتين بالرغم من تجاورها : المنطقة الجبلية التى ترويها الامطار والمتميزة بطقسها الملائم ومنطقة الوديان التى

ترويها الفيضانات غير المنتظمة المندفعة من المنحدرات الشرقية للجبال حيث كانت الزراعة ممكنة فقط فى الواحات التى تم تكوينها نتيجة للجهد العظيم الذى بذله الانسان خلال العديد من القرون .

جنوب الجزيرة العربية فى الفترة من القـــرن العاشر حتى الخامس ق . م .

« عصر المكارب »

لقد اوضحنا ان الحضارة اليمنية القديمة التى نشأت فى النصف الثانى من الالف الثانية ق . م . فى الجزء الجنوبى الغربى من شبه جزيرة العرب ازدهرت فى المنطقة من وادى نجران فى الشمال وعسير فى الغرب حتى يمنات فى الشرق محتوية شواطئ البحر الأحمر والمحيط الهندى (وفى المراحل الأخيرة ضمت اثيوبيا إلى نفوذها) . لقد كانت تلك الحضارة تعتمد على الزراعة المروية ، وقامت بتلك المنطقة ممالك ومدن عديدة ، وتميزت بتطور الفنون وازدهار الفن المعمارى الراقى .

وفى هذه الفترة التى سنقوم بدراستها الآن نجد ان الزراعة قد بلغت قمة تطورها واتخذت لنفسها مميزات السلعة . فقد انتشرت

فى هذه الفترة المعينة خبرة زراعة النخيل والحدائق التى امتلأت بالاشجار المثمرة ـ الكمثرى والرمان الخ .

ولهذه الفترة يرجع انتشار اشجار البخور التى لعبت دوراً هاماً فى تطور اقتصاديات المنطقة . لقد لاقت تجارة اللبان والمر والبخور رواجاً كبيراً فى كل اقطار الشرق الادنى والبحر الابيض المتوسط . فقد استعملت لتعطير المعابد ولتحنيط الموتى كما ادخل استعمالها فى العطور وفى العقاقير الطبية .

وقد تحصل على البخور واللبان فى البداية من الاشجار البرية ولكن ومنذ القرنين السابع والسادس ق . م . اخذت فى الظهور مزارع خاصة ، واخذ فى تصنيف انواع الاشجار .

بالاضافة للنباتات ذات الشذى اشتهرت ايضاً النباتات الليفية (الكتان والتيل) ومواد الصباغة . واصبحت زراعة البخور مصدراً لازدهار دول اليمن القديم وثروتها الاسطورية التى أدت لتسميته « بالعربية السعيدة » فقد ساعد تصدير البخور ازدياد حجم التبادل والتجارة الشيء الذى أدى بدوره لزيادة حدة الانقسام داخل المجتمعات مما قاد لتقوية وتطور المجتمع الطبقى العبودى وجهاز الدولة .

١ـ الدولة والمجتمع :

لقد كان المجتمع فى اليمن فى الفترة من القرن العاشر حتى الثامن ق . م . يمر بالمراحل البدائية لتطور المجتمع العبودى . فقد كانت العبودية فى تلك الآونة تتخذ شكلا بطريركياً ، وكانت اعداد

العبيد قليلة كما انهم من حيث الوضع الاجتماعي كانوا يعاملون كفئة ادنى داخل الاسرة . وكان المصدر الاساسي للاستيلاء على العبيد من الحروب . توضح النقوش ان عددية من يقعون فى الاسر وكذلك النساء والاطفال الذين يغنمون تفوق بكثير عدد من يقتلون خلال المعارك أو بعدها وكذلك فان اغتنام العبيد كان يتم عن طريق الشراء او استرقاق الاطفال الذين يولدون وآبائهم او أمهاتهم فى حالة عبودية .

كانت الخلية الاساسية للحياة الاجتماعية والاقتصادية فى جنوب الجزيرة العربية ، فى تلك الفترة ومابعدها ، تتكون من الاسر البطريركية الحرة الكبيرة التى تضم الاحفاد المباشرة لرب الاسرة باحفادهم وزوجاتهم واطفالهم ، ويعيشون كلهم فى أسرة واحدة تحت السيطرة المباشرة لكبير الاسرة ، وتضم مثل هذه الاسرة أو العشيرة ايضاً بعض الافراد الذين لاتربطهم صلة قرابة بالعشيرة المعنية ، وانما يكون انضمامهم لها على اساس عدم صلاحيتهم فى الاستمتاع بكافة الحقوق المشروعة لافراد العشيرة الحقيقيين . ويسكن افراد العشيرة فى مكان واحد ويملكون مزارع للنخيل وقطع ومواشى ومنشآت زراعية .

وبتطور نظام العشيرة هذا واساليب ادارتها بدأت سلطات زعيم العشيرة فى التمركز بالدرجة التى اصبح فيها المالك القانونى لكل ممتلكات العشيرة البطريركية وسيداً على كل افرادها وعبيدها . كما اصبح الممثل الشرعى لمجموعة عشيرته امام العشائر الاخرى التى

ربطها معهم صلة القرابة أو الجوار ، وله دون غيره من افراد عشيرته الاشتراك فى مجالس الاكبار أى مجالس زعماء العشائر وفى الاجتماع الشعبى . ويمكن أن نقول بانه يمكن اعتباره ممثلا لطبقة ملاك العبيد فى المرحلة البدائية من تطور المجتمعات العبودية الطبقية)

وبظهور الملكية الخاصة للعشائر للارض اصبحت هناك حاجة لايجاد نوع من التنظيم القانونى لتحديد اراضى كل عشيرة . وهذا بالضبط ماعبرت عنه النقوش الحجرية الخاصة بتحديد الاراضى والتى كثيراً ماتتعرض لمصادر الملكية ونوعيتها (الشراء وغيره والقرارات التى اتخذتها السلطة فيما يتعلق بالمنازعات . وتدل التعابير التى تشير للمنع ، والتى يكثر استعمالها ، لمدى الاشكالات التى كانت تنشأ بين العشائر المختلفة حول حدود الارض المخصصة لكل عشيرة .

وقد اخذت تدريجياً فى الظهور بعض الفوارق داخل العشائر نفسها وبين أفرادها ، فقد ابقى الزمن على بعض المعلومات التى تشير إلى تأجير الارض لافراد العشيرة من قبل الزعيم بشروط معينة ونتيجة لعدم المساواة أخذت بعض العشائر فى فقدان اراضيها مما دفع بافرادها تدريجياً للتفرق وتحولهم إلى لاجئين فى اراضى الزعماء .

ثم اخذت العشائر البطريركية فى تكوين نوع من التحالفات والتجمعات العشائرية وكانت أجهزة الادارة العشائرية قد حددت سلطات الزعماء فى اطار الاشياء التى تضمن المصالح العامة لتلك المجموعات - مثال عملية البيع أو الشراء للاراضى يجب أن يحضر شاهد من الاقرباء كما أن عملية البيع نفسها يجب أن تعتمد بواسطة

ممثل السلطة ومن أهم واجبات الادارة تنظيم طريقة توزيع المياه للري من المصادر المشتركة . هذا وقد ظلت فئة الامراء (جهاز ادارة الدولة ، الزعماء العشائريين والكهان) أي ارستقراطية العشيرة ، تعيش في تلك المرحلة على استغلال عمل كل اعضاء العشيرة ، ذلك العمل الموجه لتغطية الاحتياجات العامة (بناء وسائل الري المباني العامة الانفاق على المعابد الخ) . إلا أنه يمكن القول بان تلك الارستقراطية لم تبتعد كثيراً عن مجمل العشائر وأفرادها الاحرار فلقد كان تركيب جهاز الدولة لايزال يحتفظ بالكثير من مظاهر التنظيمات العشائرية . وكما سبق وأوضحنا فانه وفي تلك الفترة كان حكام سبأ وقتبان من المكربيين الذين كانت واجباتهم تنحصر في توجيه الاعمال الاجتماعية الضرورية — بناء التحصينات والمعابد ووسائل الري — بالاضافة للنشاطات الحربية المعروفة لنا مثال : القيادة المباشرة للمكرب نفسه في حالات الحروب . كما أن المكرب كان يقوم بدور الكاهن ، ويعتبر الشخص الذي تقع على عاتقه مسئولية رفاهية ورخاء الشعب ، ومسئولية قيادة الاعمال الاجتماعية الهادفة لتقدم وازدهار الدولة . والمكرب هو الذي يخاطب الاله باسم افراد الشعب ويترأس الجميع امام الاله .

إلا أن سلطات المكرب نظمت ووضعت لها الحدود بواسطة الاجهزة العشائرية — مجلس الاكابر والاجتماع الشعبي للمواطنين الأحرار لقد كان المكربيون يديرون الحياة اليومية للمجتمع فقط ليس إلا . فلا سلطة لديهم في تعديل أو الغاء القوانين التي تشكل

اساساً لتنظيم الحياة الاجتماعية . وقد كانت الحروب هى الفرصة الوحيدة التى يتاح لهم فيها الخروج عن التبعية الكاملة لمجالس الاكابر وتغيير وضع القوى السياسية وتليينها لمصلحتهم . وقد استطاع المكريبون فى الاستفادة التامة باستغلال مثل تلك الغرض .

وكان مجلس الاكابر المكون من ممثلى القبائل هو الجهاز الادارى والتشريعى الاساسى وتدخل ضمن صلاحياته فرض الجزية وتعيين المسئولين عن جمعها واصدار القوانين وفرض الرقابة على ألا تخرج تلك القوانين على التقاليد القديمة وعلى أن يتم تنفيذها دون تلاعب (مثال على ذلك قتبان) . كما وان مجالس الاكابر تملك صلاحيات التدخل فى العلاقات بين الحاكم والتابعين له (فى وقت معين) .

وفى البداية ظل الاجتماع الشعبى هو السلطة التى يحق لها اعتماد قرارات المجلس إلا أنه وبازدياد المساحات التابعة للدولة بدأ الاجتماع الشعبى فى فقدان اهميته ودوره الفعال . وفى الممالك – المدن شبه التابعة ظل الاجتماع الشعبى – يحافظ على وجوده . وكانت مجالس الاكابر أوحكام ذوى سلطات محدودة يقومون بادارة شؤون تلك الممالك – المدن . وكثيراً ماتدخل تلك الممالك – المدن فى تحالفات مع المكريبين خلال فترات الحروب .

ويقوم الحكام او المجالس باصدار القرارات الخاصة بالتخطيط لكيفية استعمال الاراضى وتوزيعها على المواطنين .

٢ـ جنوب الجزيرة العربية فى الفترة من القرن العاشر حتى السابع ق.م. «حملات كرب ال وتر بن ذمار»

حسب النقوش يمكن اعتبار عصر المكربين أقدم فترة فى تاريخ سبأ وقتبان. وفى الغالب، حضرموت أيضاً، عندما كان على رأس تلك الدول حكام يحملون ذلك اللقب.

لقد كان عصر المكربين مليئاً بالاحداث الهامة التى كان لها اثراً كبيراً فى الفترات التالية من تاريخ جنوب الجزيرة العربية. وقد كان لتلك الاحداث نتيجة اساسية وهى محاولة تكوين دولة سبأ التى يمتد تأثيرها على كل منطقة اليمن القديم فى الربع الثانى من الالف الاولى ق. م.

وفى القرن العاشر ق. م. اصبحت سبأ أكبر وأهم الدول فى جنوب الجزيرة العربية وانشأت علاقات تجارية ودبلوماسية مع مناطق شرق البحر الابيض المتوسط، وتشير المدونات التاريخية الملكية الخاصة بالملك اليهودى سليمان والتى ذكرت فيما بعد فى الكتاب المقدس، انه وفى منتصف القرن العاشر ق. م. قامت ملكة سبأ المشهورة فى الاساطير العربية باسم بلقيس، بزيارة لدولة اسرائيل. وتجدر الاشارة هنا إلى حقيقة أن نقوش جنوب الجزيرة العربية لاتشير بأية صورة من الصور إلى وجود حاكمة امرأة فى سبأ -. وبغض النظر عن امكانية وجود اختلاط ما فى الكتاب المقدس، فان هذه الحقيقة تشير، بما لايدع مجالا للشك، إلى أن سبأ كانت معروفة لدى سكان الشواطئ الشرقية للبحر الابيض المتوسط.

ويرى العلماء ان هجرة السبئيين لاثيوبيا واستقرارهم بالمنطقة التى نشأت فيها بعد مرور الف عام دولة اكسوم ، ترجع لهذه الفترة من التاريخ .

وفى فترة ما فى القرن الثامن ق . م . انشأت الدولة السبئية صلات بدولة آشور . ويذكر الملك تجلات بلاسار الثالث فى ندواته التاريخية للعام ٧٣٨ ق . م . السبئيين ضمن الشعوب التى خاض معها حروبه التى كللت بالنجاح . وفى عام ٧١٥ ق . م . ارسل ملك سبأ يتعمروتار بن سمة على سنوف هدايا للملك سارجون الثانى . كما أن ذكر الملك السبئى كرب آل جاء فى نقش للملك سنحاريب يرجع تاريخه ٦٨٥ ق . م . ونجد أن نقوش جنوب الجزيرة العربية لاتتعرض لذكر الاوضاع الداخلية للمنطقة وممالكها فى تلك الفترة ، بينما تشكل النقوش مادة غنية لدراسة الفترة التى تبدأ من القرن السابع ق . م .

وبحلول القرن السابع ق . م . تميز الوضع فى جنوب الجزيرة العربية بظهور قوة جديدة تنافس سبأ وقتبان وحضرموت فى السيادة على المنطقة . اخذت اوسان فى توسيع دائرة نفوذها على كل ارجاء القطر حيث تمكن حكامها مرتوم من الاستيلاء على جزء من الاراضى السبئية وعلى مراكز هامة فى كل من قتبان وحضرموت بما فى تلك المراكز من جنود . وقد انتهزت نجران تلك الفرصة السانحة فبدأت فى مضايقة سبأ من الشمال ، كما انشقت دويلة نشن عن الاتحاد السبئي .

هذا وقد نجح كرب إل وتر بن ذمار السبئى من عقد تحالف عسكرى مع حاكم قتبان وروال ومع حاكم حضرموت يدع اب لمناهضة

عدوان اوسان . ومباشرة بعد عقد التحالف قامت قوات كرب ال وتر بمهاجمة نجران واحتلالها مؤمنة بذلك المؤخرة لنفسها . ومن ثم وجهت تلك القوات الضربة القاضية لاوسان التي لم تقم لها بعد ذلك قائمة ، وفي مجرى الحرب حوصرت نشن لمدة دامت عامين تم بعدها تحطيمها وضمها نهائياً لسبأ .

وبفضل انتصارات كرب ال وتر اعيدت لكل من قتبان وحضرموت اراضيها السابقة . واصبحت اوسان تابعة لقتبان وقد ترك ولأسان نوع بسيط من الاستقلالية وتمكنت من أن تلعب دوراً في انتاج البخور والتجارة مع افريقيا ، ولكنه ومما لاشك فيه فان المستفيد الاول والاساسي من حملات كرب ال وتر كان الاتحاد السبئي دون منازع والملك كرب نفسه .

٣ سبأ بعد حملات كرب ال وتر حتى القرن الرابع ق . م . :

نتيجة للحملات التي قام بها تمكن المكرب السبئي ال وتر من الاستيلاء على اعداد ضخمة من الاسرى الذين تم استرقاقهم وكميات هائلة من الغنائم . وقد استطاع كرب ال وتر ان يضمن لنفسه أعداداً ضخمة من العبيد .ومن الاراضي التي يعملون بفلاحتها ويرتبطون بها بواسطة الشراء القسري الذي فرضه فرضاً على الحكام الصغار. هذا وقد تم تحويل تلك الاعداد الضخمة من العبيد والمساحات الشائعة من الاراضي لملكية عامة للدولة السبئية ، واصبح جزءاً منها خاصة المكرب نفسه وافراد عشيرته . وبهذا الشكل تكون رصيد من الاراضي „ التابعة للدولة التي تمت مصادرتها من الحكام المهزومين

أو التي اشتريت منهم قسرياً وأصبح هذا الرصيد مصدراً أساسياً لنمو قوة نفوذ وسلطة المكرب في سبأ القديمة كما لعب دوراً هاماً فيما بعد من تطور المجتمع السبئي . وفي البداية عاش السبئيون بالاعتماد على عمل القبائل المهزومة التي ، كما سبق واوضحنا ضمت اراضيها لتصبح ملكية للدولة السبئية . اما فيما بعد فقد بدأت سياسة استيطان السبئيين بتلك الاراضي بينما اصبح المواطنون الحقيقيون عبيداً ، للمستوطنين الجدد . وقد ادت سياسة الاستيطان تلك إلى إيجاد قوة حقيقية مباشرة يعتمد عليها المكرب في فرض تبعية تلك المناطق لنفوذه .

ونتاجاً للحملات التي قام بها كرب ال وتر تمركزت ساحات شاسعة من الاراضي واعداد كبيرة من العبيد لدى المكرب وعشيرته الشيء الذي ساعد على نمو سلطانه ونفوذه . ونتيجة للمجهودات التي قام بها كرب ال وتر وحلفائه بالذات تم استصلاح جزء كبير من واحة مأرب وزرع النخيل وغيره . وقد اصبحت واحة مأرب ومدينة مأرب الواقعة تحت السد في وادي اذنه ملكية خاصة للمكرب .

وتشكل حملات كرب ال وتر وخطواته لضم اراضي جديدة المحاولة الاولى من نوعها في جنوب الجزيرة العربية لأرساء دعائم دولة مركزية موحدة . وفي تلك الفترة بالذات بدأت عملية الازدهار الحقيقية للحياة الاجتماعية والاقتصادية لدولة سبأ . تطورت الزراعة والحرف والتجارة ، نمت الملكية الفردية للارض وبالتالي ازدادت حدة الفوارق الطبقية وقويت الدولة واجهزتها وارتفعت الضرائب

والجزية وتضاعفت اعداد العبيد وازدادت أهمية دورهم فى عملية الأنتاج . وقد تميزت هذه الفترة من القرن السابع ق.م. بعمليات البناء الواسعة وبازدهار الحضارة وبتقدم الفنون – تم بناء معبد اله الشمس « المقه » فى مأرب ، وتشييد تحصينات نشق ومأرب ، وإقامة سد مأرب الشهير . واصبحت صرواح عاصمة لدولة سبأ وامتد نفوذها لمناطق واسعة حتى انها فى بعض الفترات ضمت كل الاراضى اليمنية من نجران حتى أبين .

٤– قتبان فى الفترة من القرن السابع حتى الرابع ق.م.

كان تركيب جهاز الدولة فى قتبان مشابهاً للدولة السبئية مع بعض الاختلاف البسيط . فقد اطلق على المكربين القتبانيين لقب « الاوائل » . وحسب العادات والتقاليد القديمة يعتبر « الاول » هو الطفل الاول الذى يولد فى البلاد بعد إعتلاء حاكم جديد للعرش . وقد كانت تلك امتداداً لعادات عشائرية قديمة تمنح الحق لأى عضو من أعضاء العشيرة للاشتراك فى الادارة . ولكن وبظهور جهاز الدولة فى قتبان انحسر مثل ذلك الحق واصبح الحكم يورث من الاب للابن او الحفيد .

وبالرغم من أن حكام قتبان تمتعوا بسلطات واسعة فى واقع الامر إلا انهم ظلوا يحافظون على لقب مكرب بالاضافة إلى القاب أخرى : « مخلصوا ضرائب الاله » و « كاهن عم » وأخرى بما فى ذلك لقب « ملك » وقد اصبحت قتبان منذ القرن الرابع ق.م.

دولة عبودية متقدمة يستغل فيها عمل العبيد بشكل واسع ويقف على رأسها ملك له سلطات فردية واسعة ولها تجارة نشطة .

ونتيجة لحروب كرب إل وتر تمكنت قتبان ليس فقط من استعادة نفوذها على كل المناطق والاراضى التابعة ، بل اخضعت لتبعيتها اوسان وضمت لنفوذها دهس وتبنى ومناطق أخرى وامتدت املاك قتبان على الشريط الساحلى للمحيط الهندى وعلى المناطق التى تعتبر مصدراً لاشجار البخور . وقد بلغت قتبان فى تلك الفترة درجة من القوة والمنعة جعلتها منافسة لدولة سبأ فى السيطرة على بقية اليمن إلا أن المحاولة الاولى من هذا النوع التى قام بها الحاكم القتبانى سمة وثار بشنه هجوماً على سبأ التى كان يحكمها المكرب يثعمر يبين باءت بالفشل . وكانت سبأ فى تلك الفترة حليفة لدولة معين ، ذلك التحالف الذى ظهر بعد تدمير نجران .

٥ـ ظهور معين :

نشأت دولة معين فى القرن السادس ق . م . نتيجة للتحولات الكبيرة فى ميزان القوى التى شهدتها المنطقة عقب حملات كرب آل وتر . وكما اوضحنا سابقاً فان المدن الكثيرة الواقعة فى منطقة الحرف كانت تابعة لنفوذ نجران ، وفى تلك المدن مكنهو وهرم وكانت نشن التى ترتبط بنوع من الاتحاد مع دولة سبأ أكثر تلك المدن نفوذاً . وبعد هزيمة نجران وانفصال نشق عن الحلف السبئى تغيرت موازين القوى بمنطقة الحرف بحيث قويت شوكة هرم ، التى تحالفت مع كرب آل وتر ، لفترة معينة . ومن ثم تم توحيد مدينتى قرنو ويثل التجاريتين واصبحتا القوة الاساسية فى الواحة واخضعتا بقية الممالك

ـ المدن فى الجوف : نشق وكمنهو وهرم . ولقد تم تحويل مدينة نشق إلى مدينة سبئية استوطنها السبئيون بعد حملات كرب آل وتر . وبالتأكيد فان وجود قوة سياسية جديدة على الحدود الشمالية لدولة سبأ لم تهمل من جانب حكام سبأ . ففى القرن الخامس ق.م . استطاع احد ملوك معين ام يثعم نبيت بصعوبة شديدة من صد هجوم يثعمر يبين على مدينة يثل .

بهذا يمكن القول بأن معين نشأت نتيجة لاتحاد مدينتين تجاريتين هما قرنو ويثل بخلاف الدول التى تكونت نتيجة لاقامة اتحادات قبلية ودخلت فيما بعد فى تحالفات مع الممالك ـ المدن . إن معين لم تعرف قط مايسمى بالمكرب وانما عرفت النظام الملكى مباشرة ، وقد قيدت سلطة الملك بواسطة الرقابة التى يفرضها مجلس الاكابر . ولا نجد اسم الملوك المعينيين متصلا باعمال البناء والتشييد كما هو عليه الحال بالنسبة لمكربى سبأ . وحتى إذا ماجاءت ذكرى لملوك معين فانهم لايقومون بدور القيادة لعمليات البناء والتشييد وانما يشاركون بها فقط بجانب أجهزة ادارة المدينة . ومع كثرة المعابد التى شيدت الا اننا نجد أن هناك معبداً واحداً فقط قام بتشييده ملك معين . أما فى مجال العبادات والشعائر الدينية فان الملك هو الذى يقدم الهبات ، والعطايا للآلهة بمناسبة البدء فى عمليات تشييد المدن . وفيما يتعلق بدور الملك كقائد فى فترات الحروب فاننا لانملك مايشير بأى شكل من الاشكال لهذا الموضوع .

وهنالك خاصية اخرى تتميز بها قتبان انتشرت فيما بعد فى الدول الاخرى فى جنوب الجزيرة العربية . وتتعلق هذه الخاصية بنظام

تركيب جهاز الدولة ففي قتبان يوجد مايسمى بالادارة الثنائية .فالدولة لايحكمها ملك واحد وانما ملكان لايشترط أن يكون الثاني وريثاً للأول ، إذ ان هنالك مايثبت انـه وفي الفترة المتأخرة عندما لايكون للملك ابناء ، أو إذا ما ابعد ذلك الابن عن المشاركة في الحكم لسبب أو آخر فان منصب الابن يحتله شقيق الملك الذي له ابن وكان الملك الثاني في معين يتمتع بكل السلطات الملكية وتصدر جميع النقوش باسم الملكين سوياً.

وكان اعضاء مجلس أكابر معين (قرنو) ويثل ورئيس ادارة المدينة يلعبون دوراً هاماً في ادارة الشؤون العامة . ففي سبأ بوقتبان كان واجب تسجيل الحوادث التاريخية حقاً لبعض الكهنة بينما كان هذا الواجب في دولة معين يقع على عاتق بعض أعضاء مجلس الاكابر .وقد لعب الدين دوراً هاماً في دولة معين ، وتعتبر الهبات والعطايا التي تقدم للمعابد بمثابة ضريبة حكومية مفروضة ويستفاد منها في تشييد التحصينات حول المدن الكبرى مثل قرنو ويثل وكذلك في بناء المنشآت الاجتماعية الاخرى.

ولم تكن معين بالدولة الكبيرة من حيث المساحة فقد تمركزت في منطقة من واحة الجوف إلا انها لعبت دوراً هاماً في تاريخ واقتصاد اليمن عندما سنحت لها الفرصة فيما بعد من السيطرة على تجارة اليمن مع دول البحر الابيض المتوسط وكذلك ، في الغالب ، التجارة الداخلية أيضاً .

جنوب الجزيرة العربية فى الفترة
من القرن الرابع حتى الاول ق . م .

تتميز فترة القرنين الرابع والثالث ق . م . بالمزيد من التطــور الذي أحرزته الحضارة اليمنية القديمة والدول التي نشأت فى هذه المنطقة وبنشوء وازدهار العديد من المدن الجديدة . واذا ما كانت معظم آثار الفترة السابقة تتركز فى الجزء الشرقي من اليمن فى الحدود الحالية للربع الخالى ، فانه وفى هذه الفترة بدأ إزدهار مدن اواسط اليمن وعلان — وردمان وغيرهما .

وقد لعبت المدن فى جنوب الجزيرة العربية فى القدم دوراً سياسياً وإقتصادياً وحضارياً ضخماً . ففيها تمركزت ادارة البلاد والمراكز الحرفية والتجارية . وبشكل عام نجح الحكام ، الذين يجنون أرباحاً من التجارة ، بتنشيط التبادل التجاري بين المدن التابعة لهم . وقد تم نقش « القانون التجاري » القتباني الشهير الذي سنتحدث عنه فيما بعد على مسلة

جميلة عالية وضعت فى وسط مدينة تمنع حتى يتمكن المواطنون جميعا من التعرف عليها . وقد تم الإهتمام بصفة خاصة بتوطين التابعين واسراء الحرب والحرفيين والتجار فى المدن ، ولذلك تم إنشاء وحدات سكنية جديدة وتوسع فى المواقع القديمة .

ولقد حصنت معظم المدن ومراكز الأقاليم والعاصمة تحصيناً متيناً . وبنيت الاسوار والابراج من الالواح الحجرية المصقولة ببراعة . وفى العادة يكون المدخل الرئيسى للمدينة عبارة عن بوابة حصنت تحصينا منيعاً . وفى اوقات الحروب تصبح اسوار المدينة ملجأ ليس فقط للجنود الذين يدافعون عنها وانما لسكانها ولمجموع الفلاحين الذين يعيشون خارج اسوار المدينة ، وتشكل عملية بناء وترميم التحصينات واجباً أساسياً من واجبات الحكام . وفى قرنو ويثل ، حيث كانت الادارة الحقيقية بيد العشائر التجارية الكبرى ، فقد كان واجب البناء والترميم يقع على عاتق مجلس الاكابر الذى يقوم بتقسيم بين العشائر المختلفة .

وتبنى العواصم عادة فى المرتفعات التى تشيد خصيصاً فى الواحات لتلك الغرض . وفى داخل المدن يشيد قصر الحاكم فى القلعة التى غالبا ما تطلق عليها تسمية خاصة . ففى مأرب عاصمة سبأ كانت القلعة تسمى صالحين ، وفى ظفار — ريدان ، وفى شبوة — شاكر . وتقسيم المدينة لاحياء شيدت بها قصور الامراء ومنازل التجار والحرفيين . وفى تلك الاحياء تشيد المعابد ، إلا أن أكبر تلك المعابد وأهمها فى إعتقاد المواطنين تشيد خارج اسوار المدينة .

هذا وقد أهتم الحكام إهتماما خاصا بمد المدن التابعة لهم بالمواد الإستهلاكية وبالمياه لتوزيعها على الاراضى الزراعية بواسطة القنوات . وفى المدن

التجارية الهامة نجد أن المخازن تبنى فى الجانب الداخلي للسور كما تقام إستراحات للتجار العابرين بالمدينة . وفى قلب المدينة أو فى مواجهة قصر الحاكم يقع الميدان الرئيسي الذي يستعمل كسوق تجري فيه عمليات البيع والشراء . وقد كانت قصور الامراء تزين بالتماثيل البرونزية . ولهذا النوع من الزينة يمكن ارجاع تماثيل الاسوار التى يمتطى ظهوها طفل صغير والتي تم العثور عليها فى أحد المنازل عند التنقيب فى مدينة تمنع . وخارج سور المدينة تمتد المزارع والحدائق .

وترتبط المدن بعضها ببعض بواسطة الطرق المنظمة والتى تشق فى بعض الاحيان وسط الجبال ، كما تعبد عند الحاجة بوضع الواح حجرية تقطع خصيصا لذلك الغرض . وفى المناطق كثيرة الوعورة تبنى المدرجات الحجرية .

وينعكس المستوى الاقتصادي العالي فى تلك الفترة فى مدى التوسع الهائل الذي أوجدته الملكية الفردية للأرض خاصة الاراضي التي تنمو بها الاشجار التي تحتاج لسنوات طويلة من الرعاية قبل ان تعطي ثمارها كالنخيل وأشجار البخور .

وازداد جهاز الدولة قوة واصبح لقب ملك الذي يعكس كبر الحجم الحقيقي للسلطة الفردية كثير الاستعمال حتى بداية القرن الثالث ق م . حيث حل محل اللقب السابق «مكرب» نهائيا ، ولفترة القرنين الرابع والثالث ق.م. يرجع تاريخ صدور معظم القرارات والقوانين الملكية المعروفة لنا فى تلك الفترة وتتعلق تلك القوانين والقرارات بمشاكل ثلاث أساسية : فرض الجزية وتحديد الضرائب وتقديم الهبات والعطايا للمعابد التابعة

للدولة او للمعابد المحلية ، تنظيم القوانين الخاصة باستعمال الارض والماء من القنوات الزراعية ، وأخيراً تنظيم قوانين التجارة والعلاقات بين البائع والمشتري وتحديد الضرائب والرسوم التجارية . ولاول مرة أخذت القوانين التشريعة تتعرض للعبيد ولوضعهم ، وبخاصة القانون الجنائي الذي ينظر إليهم كسلعة تجارية . تحول المجتمع اليمنى فى تلك الفترة لمجتمع عبودي متقدم و اصبح عمل العبيد هو الاساس فى مجالات الأنتاج الأساسية كالبناء والتشييد ، وفى الاعمال الحرفية والزراعية . فخلاف العبيد فقد كانت هنالك فئات اخرى تعتبر من فئات الاحرار إلا انها لا تتمتع بنفس حقوق المواطنين الاحرار الآخرين ، كما أن هنالك فئة القبائل المهزومة والتابعة والتى فرضت عليها الجزية . وقد تعرضت كل هذه الفئات للاستغلال الفاحش .

١- الدولة السبئية :

فى القرن الرابع ق . م . كانت الدولة السبئية لا تزال تحتل المركز الاوسط فى جنوب الجزيرة العربية . وفى تلك الفترة بدأت قتبان فى الاشتباك مع سبأ من أجل السيطرة على الطرق التجارية وقد لحق بسبأ ضرر كبير نتيجة اشتراكها فى الحروب ضد الملك القتباني اليدع اب يوهنعهم والتي ادت لان تفقد الاولى مراكز هامة فى الجزء الجنوبي — الغربي من اليمن . وخلال سنوات تلك الحروب والتى دامت طيلة القرن الثالث ق . م تقريبا وهنت قوة سبأ وضعفت شيئا فشيئا .

وكانت الفرصة الوحيدة التى وجدت فيها سبأ خلال تلك الفترة للسلام عندما تم عقد هدنة مع قتبان من جانب الملك السبئي يثعمر يين .

وقد استطاع كرب ال وتر ابن يثعمر (يجب عدم خلطة باكرب) استغلال فرصة الهدنة وضم لنفوذ سبأ سمعاي الواقعة فى اواسط اليمن والتى قدر لها فيما بعد ان تلعب دوراً هاما فى تاريخ اليمن . كما كان ضم معين لسبأ فى القرن الاول ق . م عملا عظيماً .

هذا وقد لفتت الثروات العظيمة الطائلة لمنطقة جنوب جزيرة العرب التى جنتها من تجارة البخور الرائحة ، لفتت إنتباه وأثارت اهتمام الدولة الرومانية فى القرن الاول ق . م . وكان أن اقدمت الامبراطورية فى عام ٢٤ ق . م . على محاولة لإخضاع دول المنطقة لنفوذها . وقد قام عامل الامبراطور أغسطس فى عصر ايليوس جاليوس متحالفاً مع ملك النبطيين وملك دولة يهودا بتنظيم حملة ضد اليمن .وقد تمكن الرومان فى البداية من هزيمة الجيوش اليمنية واحتلوا نجران ونشق ويثل كما حاصروا مدينة مأرب التى كان يدافع عنها اليشرح ابن الملك ذمار على يبين . ولكن وبعد مرور ستة ايام اضطر جاليوس من رفع الحصار على المدينة لانعدام الماء والطعام . وفى طريق تراجعه فقد جاليوس كل جيشه تقريباً حيث وصلت معه إلى مصر قوة لا تذكر من جيشه .

وفى الفترة التى ندرسها الآن فاننا نعتمد اية معلومات نستطيع بواسطتها تصور الحياة الداخلية للدولة السبئية.لقد تركز اهتمام الملوك فى تلك الفترة على بناء التحصينات حول العاصمة حيث تم إنجاز بناء سور جديد لمدينة مأرب فى القرن الثانى ق . م . لحماية المدينة التى أخذت تنمو وتتوسع بسرعة . كما أكتمل بناء سور معبد الاله المقة عم فى مأرب . ونشطت حركة اصدار القوانين الخاصة بوضع المستوطنين فى المدن التابعة كما انشأت الورش الحرفية التابعة للمعابد والتى يستغل فيها عمل العبيد .

قتبان من القرن الثالث حتى الثاني ق م.

في القرنين الرابع والثالث ق . م . قامت دولة قتبان بشن حروب طويلة ضد دولة سبأ من أجل السيادة على اليمن . وقد انتهت تلك الحروب بانتصار قتبان التي تمكنت من الإستيلاء على المناطق الواقعة في الركن الجنوبي الغربي لليمن وواحة جبا في المعامر ومنطقة ردمان .

وقد بلغت قتبان قمة إزدهارها في الفترة من القرن الثالث حتى الاول ق . م وحسب الوصف الذي جاء في كتابات بيليني كانت مدينة تمنع كبيرة وغنية وشيد بها خمسة وستون معبدا . وقد لعبت قتبان دورا هاما في جنوب الجزيرة العربية كواحدة من أكبر مراكز إنتاج البخور وكمركز تجاري رائج . وقد سيطرت قتبان على التجارة البحرية مع الهند وشرق افريقيا ، وحتى البخور الذي يجلب من حضرموت كان يمر في طريقه عبر تمنع حيث تدفع ضريبة تجارية لملك قتبان . وفي مدينة تمنع توجد المسلة التي نقش عليها « القانون التجاري القتباني » الذي اصدره الملك شهر هلل يهقبض . ويحدد هذا القانون اسس التجارة وطريقة جمع الضرائب من سكان مدينة تمنع وكافة القتبانيين ومواطن معين وكل التجار العابرين . فمن هذا يبدأ طريق القوافل الذي سمي « طريق البخور » إلى بلاد البحر الابيض المتوسط . وفي القرن الاول ق . م . ونتيجة لإزدياد اهمية الطريق البحري عبر البحر الاحمر والجزء الشمالي للمحيط الهندي والذي سيطرت عليه مصر البطلمية ، انحسرت اهمية الدور الذي تلعبه الطرق التجارية عبر الصحراء .

وتنقسم دولة قتبان إلى قسمين : الاول قتبان نفسها (وادي بيحان وادي حريب وواحة جبأ) ، والثاني الممالك والمناطق التابعة لها والتي فرض عليها دفع الجزية . وهنالك سلسلة من القوانين الملكية التي صدرت ونقشت في مدينة تمنع ووادي لاباخ والتي توضح كيفية جمع الجزية من قبائل كحد في منطقة دثينة و طريقة توزيعها تحت اشراف معبد عم ذو لاباخ على بقية المعابد القتبانية .

هذا وقد لعبت المعابد دورا سياسيا كبيرا في تنظيمات جهاز الدولة كمراكز اساسية لجمع الضرائب والفوائد التجارية . وتوزيع الفائض الإنتاجي لافراد الطبقة المسيطرة . لقد لعب الدين دور المرشد والسند الاساسي للدولة ومساعدتها في كبت الطبقات المستغلة .

وفي القرن الاول الميلادي ، في الغالب ، تمكن جنود دولة حضرموت من تدمير تمنع العاصمة القتبانية . وقد فقدت قتبان اجزاء من املاكها الهامة بما في ذلك ميناء قنا (بئر علي) ومنطقة ردمان . وقد استولت حضرموت على جزء كبير من ممتلكات قتبان كما ضمت لنفسها جزءا من الاراضي القتبانية ذاتها . وتم تحويل العاصمة إلى مدينة خرابات في وادي حريب . وقد انهارت دولة قتبان نهائيا تحت وقع الضربات الموحدة التي تلقتها من السبئيين والحميريين ، في نهاية القرن الثاني الميلادي .

معين في الفترة من القرن الثالث حتى الاول ق . م

في نهاية القرن الرابع وبدية الثالث ق . م . بدأت مرحلة الازدهار التجاري لمعين . فقد نشأ في تلك الدولة نظام تجاري معقدامتد

نفوذه على كل منطقة الجزيرة العربية وخارجها . نشأت المستوطنات التجارية للمعينيين في واحة الددان بأعالي الحجاز وفي يثرب (المدينة) وغزة ومصر وفي تمنع عاصمة قتبان وشبوة عاصمة حضرموت وفي شعيب (من ضواحي صنعاء الان) وفي اماكن اخرى .

وقد شكل مستوطن الداردان طائفة تجارية تقع في منطقة خاضعة لنفوذ ملك لحيان وتتمتع بحمايته ، إلا ان لها استقلالا ذاتياً في ادارة شؤونها كما كان لها معبدها الخاص ، وعلى رأسها كبير من بين أعضائها . كذلك المستوطن الذي نشأ في مدينة تمنع كان له كبير يترأسه ايضاً ، كما اعتبر اعضاء هذا المستوطن حسب « القانون التجاري » القتباني متساوين في الحقوق مع مواطن تمنع .

وقد تسلل التجار المعينيون للعديد من بلدان البحر الابيض المتوسط فقد تم العثور على نقوشهم في مصر وجزيرة ديلوس . وفي بعض الاحيان نجد أن بعض ممثلي التجار المعينيين يقضون كل حياتهم بعيدا عن وطنهم . وهنالك احدهم اصبح كاهنا للمعبود المصري اوزريس — أزيس . إلا أن هؤلاء التجار حتى وفي تلك الحالات كانوا يحتفظون بانتمائهم وولائهم لمعين ويقومون بدفع الجزية المتوجبة عليهم لمعبد عشتار في مدينة قرنو .

كانت البضائع الاساسية التي تتاجر بها معين هي بخور جنوب الجزيرة العربية والبضائع الغربية من الهند وشرق افريقيا . لهذا فأننا نجد أن أكثر انواع المر انتشارا في العالم الهليني عرف باسم « المر المعيني » ،

بالرغم من أن مصدره الحقيقي كان حضرموت والمناطق الجنوبية لقتبان (الاوسانية) . وكان الدقيق من أهم الواردات التي تجلب من مصر وسيدون واليونان عن طريق القوافل عبر غزة .

استمرت فترة ازدهار معين حتى القرن الاول ق . م . وبازدياد نفوذ وقوة دولة النبط فقد المعينيون الداردان . كما أن افتتاح الطريق التجاري عبر البحر الاحمر قضى نهائيا على سيطرة معين على التجارة . وفي القرن الاول ق . م . انتهت فترة وجودها كدولة مستقلة وتم ضمها لدولة سبأ .

حضرموت في الفترة من القرن الثالث حتى الاول ق.م.

ان التاريخ السياسي لحضرموت في الفترة التالية لحملات كرب آل وتر وحتى القرن الثالث ق . م . مجهولا تماما لنا . الا أن المعلومات الشحيحة التي لدينا تشير إلى أن حضرموت ، طيلة تلك الفترة ، احتلت موقعا هاما في مجرى التطور العام والحضارة اليمنية القديمة . وقد اخذت المواد التاريخية عن حضرموت في الظهور مرة ثانية في فترة القرنين الثالث والثاني ق . م . عندما اشترك الملك شهر علن وحفيده في بناء الابراج على الاسوار في مدينتي قرنو ومعين . وفي تلك الفترة نجد أن حضرموت قد اصبحت حليفا وفيا لمعين .

لقد كان لحضرموت وضع خاص في اليمن القديم كمنطقة بها أجود وأثمن أنواع اشجار البخور . وكانت تلك الاشجار في البداية برية تنبت في غابات ظفار . وحسب ما جاء في كتابات بيليني ، والتي يعتمد

فيها على مراجع قديمة ، كانت تلك الغابات مقسمة بين ثلاثة الف اسرة احتكر حق الاستفادة منها لافراد تلك الاسر . وكان عليهم أن يحافظوا على نوع من النظافة الطقوسية . وكانت عملية جمع البخور يقوم بها العبيد التابعون للملك والمجرمون الذين ارسلوا لتلك المنطقة كنوع من العقاب . وجد أن عمل العبيد شيئا فشيئا اتخذ اهمية متزايدة . إلا أن عدم المساواة وتطور العلاقات العبودية فى حضرموت سارت بخطى وطيدة عما هو فى بقية المناطق وقد اكتملت المراحل البدائية للمجتمع الطبقي فقط فى القرن الاول ق . م . كما أن مكربي حضرموت حافظوا على ذلك اللقب لفترة اطول مما كان عليه والحال فى سبأ وقتبان .

ومنذ القرن الاول ق . م . اصبحت دولة حضرموت قوة ذات وزن واشتركت فى الصراع الذى دار بين مختلف الدول اليمنية ويظهر أن قوات حضرموت تمكنت فى القرن الاول الميلادي من تحطيم عاصمة قتبان – تمنع وألحقت بدولة قتبان هزيمة نكراء. وقد اعترف حكام ردمان وخولان بسلطة العزيلط ملك حضرموت .

العلاقات التجارية والثقافية لجنوب الجزيرة العربية مع الاقطار الاخرى

كما ذكرنا، فان زراعة اشجار البخور واللبان والمر وتصديرها للاسواق العالمية شكلت المصدر الحقيقي لثراء وازدهار دول جنوب الجزيرة العربية. ولقد كان انتاج تلك الثروات متمركزاً في المناطق الساحلية للمحيط الهندي في حضرموت (جزئياً في قتبان). بينما اصبحت طرق القوافل التجارية منذ القرنين الرابع والثالث ق.م. تحت سيطرة معين. وقبل ان تصل إلى معين كانت تلك القوافل تمر في طريقها من حضرموت بمنطقة قتبان وسبأ. وكانت كلتا الدولتان تفرضان عوائد تجارية على كل البضائع التي تمر بأراضيها.

وسنحاول الان تتبع «طريق البخور» من مناطق انتاجه. ان كل مايتم حمله من اللبان ينقل على ظهور الجمال إلى شبوة حيث يتواجد التجار القادمون من معين وفي المدن الساحلية الغربية للخليج العربي.

وفي شبوة يأخذ اللبان قسطاً في البضاعة (يساوي العشر بالتقدير وليس بالميزان حسب سرد بليني-«المترجم». ولايحق التصرف في اللبان قبل ان يتم ذلك الاجراء. وبعد اكمال عملية الشراء والبيع يقوم التجار بتعبئة البضاعة في جوالات من الجلد ويتم ارساله عبر أحد الطريقين. في القرنين الرابع والثالث ، كانت هناك طريق من قرنو ويثل إلى غزة، واخر من شبوة لمدن الخليج الساحلية وتجتاز القوافل الطريق الثاني في اربعين يوماً. ويقوم تجار الخليج بأرسال البخور إلى ارض مابين النهرين وإلى حدود مصر .والطريق إلى مابين النهرين يسير اما براً عن طريق القوافل واما بحراً بمحاذاة الساحل حتى مدخل نهر الفرات حيث تتم عملية تعبئة البضاعة في سفن نهرية مكسوة بالجلد لتجري في المدن الداخلية الكبرى .أما الطريق إلى الحدود المصرية فهو عبر الصحراء بالقوافل حتى غزة.

ومن الواضح ان المعينيين انفسهم ،حتى القرن الرابع ق.م، لم يشتركوا في تجارة القوافل ، كانوا يجلبون البضاعة من شبوة إلى يثل وقرنو حيث يقومون ببيعها للتجار الذين يحضرون إلى معين من غزة وعيلات، قاطعين ذلك الطريق بالقوافل التي يقودها أفراد من قبائل ثمود من شمال الجزيرة العربية. ولكن في نهاية القرن الثالث وبداية الرابع ق.م، بدأ المعينيون انفسهم في المشاركة في تلك القوافل التي يقودها أفراد قبيلة ثمود في طريقها إلى غزة. وقد شكل هذا منافسة خطيرة لتجار الخليج . وفي النهاية تمكن المعينيون من فرض سيطرتهم التامة على تجارة القوافل بعد ان انشأوا محطات للقوافل.ومستوطنات في

شمال جزيرة العرب، واصبحوا يرسلون قوافل منتظمة إلى مصر وسوريا وارض مابين النهرين.

وقد اصبحت تمنع— عاصمة القتبانيين— مثل شبوة، مركزاً لتجارة البخور .فبالرغم من ان قتبان لم تكن تملك الا القليل من المزارع إلا انها وفي القرن الرابع ق.م، تمكنت من التحكم التام في تجارة البخور واللبان البري الذي يجلب من بلاد الصومال بالمراكب للموانئ القتبانية.

ويمكننا ان نتخيل مدى التقدير الكبير والواسع الذي وجده اللبان في السوق العالمية اذا ماوضعنا في الاعتبار اصرار المعينين على الاستمرار في التجارة بالرغم من النسب العالية التي تستولى عليها معابد شبوة والضرائب التجارية العالية التي تدفع لقتبان ولسبأ وكذلك لقبائل اواسط وشمال جزيرة العرب التي تعبر القوافل اراضيها.

لقد حدد الموقع الجغرافي للجزيرة العربية في الطريق البحري من الهند إلى أفريقيا ومصر وبلاد الابيض المتوسط دورها كوسيط هام في عملية التبادل البضائعي بين الحضارات القديمة لجنوب آسيا والشرق الأدنى وحوض المحيط الهندي والبحر الابيض المتوسط. وقد اصبحت موانئ حضرموت (قنا) وقتبان (في البداية المدن وفيما بعد اوكليس وموزع) تلعب دورا هاما كمراكز اولية لتصدير اللبان ولتجميع البضائع من كل تلك البلدان، حيث يتم ترحيلها من هناك بالقوافل شمالا إلى مصر وسوريا وارض مابين النهرين. وقد ساعدت الرياح التي تهب في منطقة شمال المحيط الهندي في ابحار السفن من الموانئ الواقعة على الساحل الغربي للهند مباشرة لشواطئ جنوب غرب الجزيرة العربية. وتبدأ تلك السفن

رحلاتها من الهند في شهور الشتاء والربيع ، إذ أنه وفي فترة الصيف تهب الرياح في الاتجاه المعاكس مساعدة بذلك في انجاز رحلة العودة. ان نظام الموانئ كان معروفاً منذ القدم للهنود والحبشيين على السواء، الشيء الذي ساعدهم في تأسيس علاقات تجارية مربحة للجانبين مع شرق افريقيا.

وبمرور الزمن أخذت تجارة الهند وجنوب الجزيرة العربية تلفت انتباه مصر وايران. وقد قامت الدولتان ببذل المحاولات لفرض السيطرة على الطرق التجارية المؤدية لافريقيا والهند وجنوب الجزيرة العربية. ففي فترة حكم الفرعون المصري نخوتم فتح الطريق التجاري عبر البحر الاحمر إلى المحيط الهندي مرة أخرى (في بداية القرن السادس ق.م) كما بدأت الاعمال لاعادة انشاء القنال القديم الذي يربط النيل بالبحر الأحمر. وبعد احتلال مصر ق.م الملك داريا الاول (القرن السادس بداية الخامس ق.م) بإرسال الرحالة الاغريقي سكيلاكا للتأكد من امكانية وجود طريق بحري يربط بين مصر والهند. وقد تمكن سكيلاكا من انجاز تلك الرحلة ذهاباً وإياباً خلال ثلاثة أعوام.. وبعدها قام داريا ، بعد اكمال القنال الذي يربط النيل بالبحر الاحمر بمحاولة لتأسيس طرق تجارية بحرية مع الهند وبلاد الفرس.

وفي عصر الاسكندر المقدوني بدأت مرحلة جديدة في استغلال الطريق البحري المؤدي لجزيرة العرب والهند من المغرب. فبعد احتلاله لمصر في العشرينات من القرن الرابع ق.م، ارسل الاسكندر بعثة استكشافية من البحر الاحمر لتطوف حول جزيرة العرب واتبعها ببعثات من مصب الفرات من الخليج العربي حتى مصر. وبالرغم من ان

تلك البعثات لم تكمل تنفيذ الاهداف المرسومة لها إذ انها رجعت قبل ان تدور حول عمان، الا انها ولاول مرة جعلت عالم البحر الابيض المتوسط يتحصل على معلومات حقيقية من جنوب الجزيرة العربية.

وقد قام ملوك مصر من البطالسة باتخاذ المزيد من الخطوات في هذا الاتجاه . ففي منتصف القرن الثالث ق.م، تمكن اريستون، وهو احد المقربين من بطليموس الثاني، من دراسة الساحل العربي حتى عدن. وفي النصف الثاني من نفس القرن قام سيمي برسم مرشد بحري كامل للرحلة حتى بلاد الصومال.

وفي اواسط القرن الثاني ق.م ، اصبح البحر الاحمر وجزء من خليج عدن معروفاً بالنسبة للبحارة الاغريق- المصريين الذين تمكنوا من الوصول حتى الشواطئ الشمالية للصومال وعدن حيث تمكنوا من شحن سفنهم بالبضائع الهندية التي يجلبها التجار اليمنيون والهنود. وشيئاً فشيئاً أخذت القرصنة تظهر من البحر الاحمر مما دفع ببطليموس لتنظيم نوع خاص من قوافل الحراسة.

وفي نهاية القرن الثاني ق.م وجهت ضربة قاصمة لسيطرة ابناء جنوب الجزيرة العربية على الطريق التجاري بين الهند ومصر. ففي عام ١١٥-١١٦ ق.م تمكن يفركوس من التحصل على معلومات عن نظام المونسون ونجح في تنفيذ رحلة مباشرة للهند ذهاباً واياباً. وبعد مائة عام من تلك الرحلة اصبحت حوالي مائة سفينة سنوياً تبحر من مصر للهند بالطريق الذي اكتشفه يفروكس.

ولكن جنوب الجزيرة العربية حافظت على احتكارها لتجارة الترانزيت. لقد أدت الصلات البحرية المنتظمة التي استندت إلى وجود

مرشد بحري ومعرفة نظام المونسون، لاستقلال حضرموت ثم قتبان عن الاعتماد على سبأ ومعين في التجارة. فقد اصبحتا في وضع مكنهما من التعامل المباشر مع السفن التجارية الاغريقية ـ المصرية التي تصل إلى موانئ حضرموت وقتبان مباشرة وكانت النتائج مدمرة بالنسبة لاقتصاديات دولة معين.

وبعد احتلال روما لكل من مصر وسوريا في القرن الاول ق.م اصبحت الاوضاع في المنطقة اكثر تعقيداً. اذ بدأت الامبراطورية الرومانية في اتخاذ الخطوات اللازمة لفرض سيطرتها على التجارة الشرقية التي تشكل مصدراً ضخما للدخل العائد من الضرائب التجارية. وتم انشاء العديد من مراكز المراقبة القتبانية والرومانية على طول طرق القوافل البرية ورفعت قيمة الضرائب المفروضة على تلك القوافل. وفي نفس الوقت نجد ان الطرق البحرية من جنوب الجزيرة العربية للهند وللموانئ المصرية تمتعت برواج شديد وأخذت روما تفرض الضرائب على التجارة البحرية في كل منطقة شمال غرب المحيط الهندي. وقد انشأ الامبراطور الروماني تروپان اسطولا بحرياً خاصاً لتنفيذ فرض الضرائب في بداية القرن الثاني الميلادي.

وأخذت التجارة الداخلية للجزيرة العربية في الضعف، كما اشتدت الحروب بين دول جنوب الجزيرة العربية من القرن الاول الميلادي ليس بهدف السيادة على الطرق التجارية فحسب وانما لفرض السيطرة المباشرة على مناطق انتاج اللبان وعلى السواحل التي تقع بها الموانئ الاساسية (قنا، عدن وموزع).

جنوب الجزيرة العربية

من القرن الاول حتى الرابع الميلادي

لتفهم التاريخ اللاحق لليمن علينا ان نتوقف قليلا لدراسة الخصائص او الظروف الموضوعية الهامة لتطور الحضارة اليمنية القديمة. وقد ارتبطت تلك الخصائص، بهذا القدر او ذاك، بكل تاريخ اليمن. لهذا يسهل علينا تحديدها. ويجب القول بأن تلك الخواص أخذت تترك انطباعها وتأثيرها الواضح منذ بداية الفترة التي قمنا بدراستها في بداية هذا الفصل.

لقد كانت الخاصية العامة الاولى هي بعد وانعزال الحضارة اليمنية القديمة عن المراكز الحضارية الاخرى في الشرق القديم. لقد فصلت بينها الصحراء الشاسعة. وليس هناك من مجتمع يستطيع ان يتطور ذاتياً في ظروف عزلة كاملة تمتد لفترة طويلة من الزمن دون الاحتكاك بالمجتمعات الاكثر تقدماً وتطوراً (يجب ان لاننسى ان

ظهور الحضارة في جنوب الجزيرة العربية جاء متأخراً مايزيد على الألف عام بمقارنته مع ارض مابين النهرين مثلا) .ان امكانية التطور الكامل تصبح شبه مستحيلة بدون تبادل التجارب والخبرات الانتاجية والانجازات التكنيكية والقيم الثقافية. ان المجتمع الذي ينمو في عزلة تامة لابد وان يصل مرحلة الجمود، وكما يوضح تاريخ المجتمع البشري، إلى التصدع وحتى إلى الانهيار الكامل.

والخاصية الهامة الثانية لحضارة جنوب الجزيرة العربية هي موقعها الجغرافي كمركز لتجمع البضائع التي تصل عن طريق القوافل التجارية البرية وعن طريق السفن البحرية نتيجة لموقعها بين المراكز الحضارية العظيمة في المحيط الهندي وتلك التي في البحر الابيض المتوسط وارض مابين النهرين. ويجدر بنا هنا ان نشير إلى ماسبق ان تعرضنا له من ان ازدهار الدول اليمنية القديمة بالاضافة لتجارة الترانزيت انما يعود في الاساس لانتاج وتجارة البخور واللبان والمر.

الخاصية الهامة الثالثة ـ اقتران وجود مناطق الواحات والوديان بالمناطق الجبلية التي ترويها مياه الامطار، وقد ارتبط ازدهار مناطق الوديان بوجود نظام موحد للري مرتبط بمنبع او منبعين للمياه. فقد تطلبت عملية بناء نظم الري والتشدد في طريقة توزيع المياه وجود سلطة مركزية قوية .وقد اصبح المستوطنون الجدد في الواحات خاضعين لسلطة الحاكم. كما اوضحنا، وبالتالي سندا قويا لحماية نفوذه، ومن الناحية الاخرى فانه وفي المناطق الجبلية عاشت منذ القديم قبائل زراعية مستقلة في اقتصادياتها عن سكان الواحات. وكانت سلطة الزعماء القبليين في المناطق الجبلية محدودة من قبل الاجهزة القبلية.

وتاريخياً أصبح الصراع «التقدمي» لحكام سبأ وقتبان لتوحيد كل القطر تحت سلطة مركزية واحدة غير ذي فائدة في تلك الظروف. ويمكن القول بأنهم قد نجحوا إلى حد ما في خلق نوع من الوحدة المظهرية او الخارجية. ومن الناحية السياسية كانت تلك الوحدة ضعيفة، اذ انها اعتمدت على التحالفات والاتفاقات الحربية المؤقتة وبالتالى كانت عديمة الفائدة من حيث تطور الاوضاع الاقتصادية. ان تطور أي مجتمع يعتمد في الاساس على الارتفاع المستمر لمتطلبات اعضائه، وبشكل خاص متطلبات الطبقات المسيطرة على وسائل الانتاج داخل المجتمع نفسه. ان عملية التبادل الضعيفة بين المناطق المتجاورة لم تكن كافية بالطبع للدفع بالتطور المطلوب. أما فيما يتعلق بأنتاج السلعة التجارية الاساسية ـ البخور واللبان والمر فان ذلك كان إلى حد بعيد نتيجة عوامل جغرافية ومناخية، ولم تكن التحسينات التي ادخلت تحتاج لامكانيات تكنيكية خاصة.

ان الانعزال عن العالم الخارجي، وانعدام العلاقات الواسعة معه وكذلك الاختلاط المباشر به عرقل بشكل واضح ظهور مصادر انتاجية جديدة وأعاق ادخال الجديد من الاساليب التكنيكية في الحرف الموجود، كما أثرت سياسياً على الحياة الروحية للمجتمع. بالطبع فان الفنون والحرف في اليمن القديم بلغت مستوى رفيعاً، ولكن كان ذلك في مجالات محدوده فقط كفن المعمار واستعمال الحجارة في بعض مجالات انتاج المصنوعات المعدنية. وبالاضافة إلى ذلك فان الثروات التي تركزت لدى طبقة النبلاء نتيجة لتجارة البخور المربحة مكنتهم من الحصول على متطلباتهم من المواد الكمالية المستوردة من دول العالم القديم المتقدمة.

وقد كانت الاخبار التي تصل من العالم القديم إلى اليمن بواسطة التجار المعينيين لاتلقى تجاوباً من المجتمع . كان الذهب المكدس في كنوز الطبقة المسيطره قد خلق لديها شعوراً بالاستقرار والدوام والاقتناع بوضعها. فالواجب الوحيد امامها هو كيفية المحافظة على ذلك الوضع – بمعنى ضمان السيطرة على مزارع اللبان وعلى الطرق التجارية داخل اليمن وخارجها بقدر المستطاع وكذلك لتكثيف اعداد العبيد. فقد استغل عمل العبيد في مزارع اللبان وفي جمع ثمارها وايضاً في البناء وكذلك كقوة عسكرية مسلحة لحماية النبلاء.

وهناك خاصية رابعة واخيرة هي مجاورة اليمن لقبائل البدو الرحل الذين يعيشون في مناطق اواسط جزيرة العرب . وقد دفعت ظروف الحياة الصعبة بتلك القبائل الرعوية للهجرة جنوباً هروباً من الصحراء بحثاً عن المناطق الزراعية واستقرارهم بها. ونجد ان هذا النوع من الهجرات يأخذ في الأزياد كلما ازدادت الظروف المناخية في الصحراء قساوة . وقد تسللت تلك القبائل العربية إلى اليمن . في العادة بسلام واضعة نفسها تحت سلطة الحكام المحليين الا انه وفي بعض الاحايين كانت تلك الهجرات تتخذ طابع الغزوات بغرض النهب بما في ذلك الارض. ونجد انه وفي حالات الضعف التي تصاب بها دول جنوب الجزيرة العربية كانت الهجرات تزداد حدة وتتخذ شكل هجرات جماعية مما يجعل النضال لايقاف اندفاعها يكلف ثمناً باهظاً.

ان المستوى العام للتطور الحضاري والاقتصادي للقبائل الرعوية متخلف نتيجة ظروف موضوعية . وبعد استقرارهم داخل الاراضي اليمنية بدأوا في تأسيس علاقات متداخلة وأكثر قرباً مع الحضارة

المحلية فتأثروا بها واثروا عليها. لقد اقتبست تلك القبائل شيئاً من تلك الحضارة الراقية كما تركوا بصماتهم واضحة على مجرى التطور الحضاري اللاحق لليمن. والمعيار لقياس مدى تأثير تلك القبائل على الحضارة اليمنية يرتبط بأعداد المهاجرين الذين تغلغلوا داخل البلاد في الفترة المعينة (مع ملاحظة قلة عدد السكان المحليين بشكل عام). لقد أدى دخول القبائل الرعوية إلى تدهور في مستوى الحياة الاقتصادية والثقافية، اذ ان السكان المحليين اخذوا في الذوبان نتيجة اختلاطهم بالقبائل المهاجرة مما افقدهم تدريجياً حضارتهم ولغتهم وتمت عملية «استعرابهم».

ليس من الصعب ان نلاحظ اقتران وتداخل كل تلك الخصائص لانه لابد وان تترك تأثيرها المميت على مجرى تطور الحضارة اليمنية القديمة. وقد أخذت دلائل ذلك التأثير في الظهور في نهاية القرن الثالث وبداية الرابع الميلادي اذ أنه حتى تلك الفترة لم يكن المظهر الخارجي ينم عن أي تدهور حضاري ملموس ففي بداية القرن الاول الميلادي نشاهد قمة ازدهار حضارة جنوب الجزيرة العربية). ازدياد واضح في كمية النقوش والآثار المعمارية والفنية، توسع هائل في منطقة انتشار الحضارة بما في ذلك اليمن الشمالي الحالي واثيوبيا وبعض مناطق اواسط الجزيرة العربية. ولكن وبجانب ذلك فأن تلك الفترة تميزت بالحروب الدموية المستمرة. فقد كانت الحروب تجري داخل كل دولة نتيجة صراعات الاسر من أجل السلطة، كما تجري بين الدول نفسها من أجل السيادة على كل اليمن، ومن أجل الارض والغنائم والعبيد. ومايميز تلك الفترة التحالفات غير المستديمة التي أخذت تظهر بين هذه وتلك من الدول بينما

أخذت السلطة المركزية داخل كل دولة في الضعف تحت ضغوط مصالح الجماعات القبلية التي شكلت لنفسها مراكز قوى.

وكان ضعف الأسرة الحاكمة في مأرب من أحد الأسباب الرئيسية التي أدت إلى نشوب تلك الحروب «الكل ضد الكل» ، يضاف إليه ازدياد قوة المناطق الريفية في أواسط اليمن . وقد كان السبب الثاني نتاج التطور الاقتصادي للمناطق الجبلية من ناحية ولانحسار رصيد الأرض التي تملكه الدولة نتيجة هجرة السكان منها من الناحية الأخرى. كما يلاحظ انخفاض دخل الخزينة العامة من الضرائب التي كانت تفرض على القوافل التجارية المارة عبر مناطق الوديان. وأخيراً فأن تحول طريق البخور نفسه إلى منطقة أواسط اليمن كان ولابد أن يترك تأثيره الواضح على ميزان القوى . ويمكن التكهن بأن هزيمة القوات السبئية في معاركها الأولى ضد قوات جاليوس قد لعبت دوراً ثانوياً في الوضع الداخلي.

والسبب الأساسي الثاني للصراع تلخص في ظهور قوة سياسية جديدة في المناطق الغربية لقتبان في تلك الفترة ــ حمير . لقد أخذت دولة حمير الفتية في النمو السريع معلنة فوراً عن مطامعها في الأراضي السبئية وغيرها وفي تلك الفترة كان الصراع من أجل السيطرة على مناطق إنتاج البخور يلعب دوراً هاماً.

ولقد كانت قتبان هي الضحية الأولى في تلك الحروب ، تليها حضرموت التي دخلت في بعض التحالفات مع سبأ نصيرها الأول.

وهكذا يمكن أن نقول بأن الدور الأساسي في اليمن في ذلك العصر لعبته كل من سبأ وحمير . وتجدر الإشارة هنا إلى أن ملوك

سبأ وحمير كانوا يحملون نفس اللقب «ملوك سبأ وذو ريدان» أي انهم ادعوا لانفسهم السيادة على سبأ وحضرموت . وفي ظروف الصراع والتنافس بين الدولتين تمكنت حضرموت ليس فقط من الصمود ، وانما الاستفادة من استغلال ذلك الصراع لتجعل من نفسها قوة ذات وزن في الاوضاع السياسية في جنوب الجزيرة العربية.

ففي نهاية القرن الاول بداية القرن الثاني الميلادي عقد ملك حضرموت يدع اب غيلان حلفاً مع ردمان ضد سبأ . وفي النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي في فترة حكم الملك يدع اب غيلان اصبحت حضرموت حليفة للملك السبئي علهان نهفان في حربه ضد الحميريين . وقد عقد ذلك الحلف بزواج ملكي بين بنت علهان التي اصبحت زوجة لملك حضرموت العزيز يدع . الا أنه في عصر ابن علهان — شاعرم اوتر نشبت الحرب بين سبأ وحضرموت حيث تمكن شاعرم من هزيمة الاخيرة واستولى على عاصمتها شبوة وعلى ميناء قنا وهكذا تم القضاء على تطلعات حضرموت لبعض الاراضي القتبانية السابقة.

وفي نهاية القرن الثالث الميلادي اتحل حكام سبأ وحمير لقب «ملوك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمانات» معلنين بذلك عن تطلعاتهم لمنطقة حضرموت الا ان حضرموت ظلت تحتفظ باستقلالها لاكثر من سنة بعد ذلك. ومن الواضح انه فقط في القرن الخامس تم ضم حضرموت للدولة الحميرية التي امتد نفوذها في تلك الفترة لمناطق خارج الاراضي اليمنية.

اكسوم والتغلغل الاثيوبى فى جنوب الجزيرة العربية

كما ذكرنا فى بداية هذا الكتاب بدأ السبئيون فى القرن العاشر ق . م . فى التغلغل لاول مرة فى القارة الافريقية حيث بدأوا فى الاستقرار بها فى المناطق الساحلية من اثيوبيا . وقد استمرت عملية الاستيطان فى القرون اللاحقة . وقد حافظت مستوطنات السبئيين فى اثيوبيا على صلاتها بموطنهم بالرغم من انهم اخذوا فى التزاوج والاختلاط بالسكان المحليين وتطبعوا بطباعهم وتقاليدهم للدرجة التى حدثت معها تغيرات فى لغتهم السبئية . وفى منتصف الألف الاول ق . م . تأسست هنا دويلات صغيرة متفرقة كان يحكمها مكارب ولكننا لانملك اية معلومات عن الحياة الداخلية لتلك الدويلات ولا عن التاريخ السياسى لاثيوبيا حتى بداية عصرنا هذا . وفى بداية عصرنا ظهرت فى اثيوبيا دولة اكسوم التى اصبحت المستوطنات والدويلات

الصغيرة التى اسسها السبئيون النواة الاولى لها وقد ضمت الدولة الجديدة لنفوذها المناطق الجنوبية الغربية لساحل البحر الاحمر مما ربطها اقتصادياً بالتجارة البحرية للامبراطورية الرومانية . وقد اصبحت ادوليس التى كانت فى السابق مستوطنة للتجار الاغريق المصريين ، ميناء هاماً لشحن السفن بالبضائع التى تجلب من داخل شرق القارة الافريقية .

هذا وقد قامت الامبراطورية الرومانية بفرض سيادتها الكاملة على التجارة فى البحر الأحمر بمحاولة فرض الرقابة على السواحل العربية بمساعدة دولة اكسوم . وفى بداية القرن الثانى الميلادى . تطبيقاً لهذا المخطط . تم انزال القوات الاكسومية فى الحدود الشمالية والغربية لسبأ . وقد تمكن الاكسوميون من احتلال المناطق الساحلية بسهولة ومن ثم بدأوا فى استمالة قبيلة سهرت التى تحتل المناطق الشمالية المجاورة لسبأ ، وكذلك القبائل العربية المترحلة على حدود سبأ بالاضافة للنبلاء النجرانيين الذين كرهوا تبعيتهم للدولة السبئية ، وبذلك ظهر فى النصف الثانى من القرن الثانى الميلادى تحالف معادى لليمن القديم بقيادة حبشات (هكذا اسمى السبئيون المناطق الواقعة تحت الاحتلال الاثيوبى) . وقد استغل الاكسوميون ظروف الحرب الداخلية بين سبأ وحضرموت من ناحية والدولة الحميرية من الناحية الاخرى للتدخل فى الشؤون الداخلية لجنوب الجزيرة العربية . وقد عرض الملك السبئى علهان نهفان على نجوس أكسوم جدرت عقد اتفاقية واتحاد ضد حمير على أن تشترك حضرموت معها فى ذلك الاتحاد . وبما أن ذلك الاقتراح كان يتناسب والمصالح

السياسية لكل من اكسوم وروما طالما ان الدولة الحميرية كانت تسيطر على المواقع الاساسية التى تشكل المدخل لباب المندب فقد افق جدرت على ذلك الاقتراح .

سبأ فى القرنين الاول والثالث الميلادى

فى القرنين الاول والثانى الميلادى نجد ان سبأ اصبحت بمثابة دولة فتتها الفتن والصراعات الداخلية والحروب المستمرة مع الدولة الحميرية والاثيوبية وحضرموت . ولقد اصبحت مأرب مدينة تشهد كل يوم تبدل الملوك من الاسر المختلفة المتصارعة . وقد كان ممثلو الاسر الجديدة التى تتعاقب على الحكم من زعماء اكبر العشائر الذين اعتبروا نواباً للملك فى مناطقهم وازداد نفوذهم فى أواخر الفترة السابقة . ونجد أن مجلس الاكابر قد اختفى تماماً فى هذه الفترة كما تلاشت اهمية الدور الذى كانت تلعبه ارستقراطية القبلية . فقد عمد الحكام الجدد لسبأ إلى خلق ارستقراطية جديدة يعتمدون عليها بالاضافة لزعماء القبائل التابعة فى اواسط اليمن .

وفى بداية الفترة التى سنقوم الآن بدراستها نجد أن من بين الزعماء الذين تنافسوا على السلطة فى سبأ كان هنالك حكام قبيلة جرت (مركزها فى كتن – بتع وهمدان (فى منطقة سمعى) ومرثد (فى منطقة بكيل ومركزها شبام اقيان وردمان) . وقد شكلت مدينة مأرب منطقة منفصلة استقرت بها القبائل السبئية والتى تمكنت فى بعض الاوقات من الاحتفاظ باستقلالها عن الملوك الجدد .

وفى نهاية القرن الاول وبداية الثانى الميلادى بلغ الصراع بين اسرة الشرح يحصب الاول (مرثد) ووهب ال يحز (ردمان وبتع) قمته . وكان الاعداء من خلال ذلك الصراع قد تداولوا حكم مأرب حيث كان النصر فى البداية لوهب ال . الا أن الشرح يحصب وقع اتفاقية مع قبائل جرت وعن زعيمها سعد شمسم وريثاً شرعياً له. وقد قام الاخير فى حوالى عام ١٢٠ م باحتلال مأرب . وقام وهب آل بتأسيس اتحاد مع قبيلة همدان ، التى كان زعيمها يربح ايمن فى البداية وسيطاً بين سعد شمسم ووهب آل عندما عقدا الهدنة بينهما وقد تمكن ابن بريم علهان نهفان حفيد شاعرم اوتر من الاحتفاظ بالسلطة فى سبأ حتى نهاية القرن الثانى الميلادى وهو فى حالة صراع شديد مستمر مع الحميريين والقتبانيين والحضارمة والاثيوبيين . وقد تمكن شاعرم من تحقيق اعظم انتصاراته فى معاركه ضد الحميريين و الاثيوبيين كما الحق هزيمة منكرة بحضرموت ودمر شبوة وقنا حيث احرق السفن التى كانت راسية بالميناء وهى على وشك الاقلاع كما تمكن من الاستيلاء على الاجزاء الشمالية من اليمن بما فى ذلك مدينة نجران . وفى طريق حملته شمالا اصطدم بربيع ذى الثور ملك كندة وقحطان . وبعد موت شاعرم (حوالى ٢٠٠م) تمكن ملك حضرموت شمر يهرعش من احتلال مأرب مع أن ذلك كان لفترة قصيرة اذ ان السبئيين تمكنوا فى عام ٢١٢ م من استعادة مدينتهم تحت قيادة الشرح يحصب الثاني واخيه يازل بين .

وقد كانت فترة حكم الاخيرين مليئة بالحروب مع الملك الحميرى شمر يهرعش وخليفته كرب ال خليفة الملك الاثيوبى اصبح. وقد

تلقى الحميريون هزائم متعددة وعقدوا صلحاً مع أثيوبيا . هذا وتمكن الشرح يحصب ويازل بيين من ضم اليمن الشمالي بما فى ذلك نجران ، كما أن السبئيين تمكنوا من التغلغل فى أواسط الجزيرة العربية حيث تمكنوا من احراز انتصارات كبيرة . وقد تم اسر مالك ملك كندة ولقد كانت انتصارات حاسمة إلى الدرجة التى اصبحت معها فترة حكم تشاكرب يامن يهرجب بن الشرح يحصب ويازل بيين (٢٤٠-٢٨٠م) خالية من الحروب ، مما مكن لاول مرة من تأسيس دولة وحدت اجزاء كبيرة من اليمن .

ولكن وبعد موت تشاكرب بدأت من جديد فترة مليئة بالغيوم. ففى نهاية القرن الثالث نجد أن ثلاثة حكام فى وقت واحد يحكمون مأرب – ياسر سهنعم وابنه ذمار ، وذمار على بن يهبر الثانى وشمس يهرعش الثالث بن ياسر يهنعم – وكانوا جميعاً يلقبون انفسهم « ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنات » وكلهم ينتمون للاسرة الحميرية . وبذلك تم تأسيس الدولة الحميرية التى كتب لها ان توحد كل منطقة الحضارة اليمنية القديمة .

الدولة الحميرية فى القرنين الاول والثالث الميلادى

كانت منطقة جنوب غرب اليمن – ارض المعافر – هى مهد الدولة الحميرية وقد اصبحت ظفار بقصرها القلعة والذى سمى ريدان عاصمة للدولة . وقد كانت أهم مدن الدولة هى رداع وذمار وهكر . اعتبر الحميريون انفسهم ورثة لدولة قتبان واطلقوا على انفسهم من

النقوش السبئية التي يرجع تاريخها للقرنين الثاني والثالث .م . لقب « وللدعم » تمسكاً بالتقليد القتباني السابق

يرجع تاريخ ظهور الدولة الحميرية ، في الغالب ، لعام ١١٥ ق . م . حيث يعرف ذلك التاريخ « بالعصر الحميري » الذي تؤرخ به نقوش جنوب الجزيرة العربية حتى نهاية القرن السادس الميلادي . والجدير بالذكر ان الحميريين حتى بداية القرن الاول الميلادي لم يذكروا لافي النقوش ولا في أعمال الكتاب الكلاسيكيين .

لقد كانت حمير في البداية دولة صغيرة ، ولكنه ومن بداية القرن الثاني الميلادي ضمت حمير إلى اراضيها المناطق القتبانية السابقة وذبحان وغيرها .

كانت حمير شبيهة بسبأ في البداية كاتحاد غير قوى لعدد من المناطق والقبائل المتناحرة فيما بينها والمتصارعة من اجل السلطة . وبالرغم من ذلك نجد أن الحكام الحميريين الاوائل قد لقبوا انفسهم « بملوك سبأ وذو ريدان » ، معبرين بذلك عن تطلعهم للسيطرة على سبأ . وقد عثر على اسم الملك الحميري رمز على يهبر على النقوش التي اكتشفت في مأرب ويرجع تاريخها للفترة ١٢٠ ق . م — ١٢٠ م

وبعد هزيمة القوات الموحدة لاثيوبيا وسبأ وحضرموت للجيوش الحميرية قام علهان نهفان ملك سبأ باستغلال الاوضاع السياسية الجديدة في اليمن اذ قام فوراً بانهاء حلفه مع حضرموت ، ومن ثم بدأ ابنه شاعرم اوتر في التحضير للحرب مع اثيوبيا . وقامت حمير بعقد حلف في نهاية القرن الثاني الميلادي مع اثيوبيا

لتبدأ صراعها ثانية مع سبأ . ومع أن الحرب انتهت بانتصار شاعرم إلا انه وبعد موته تمكن الملك الحميرى شمر يهرعش لفترة قصيرة احتلال مأرب (من الفترة ٢١٢.٢٠٧ م) إلا أن السبئيين تمكنوا من طرده بقيادة الشرح الثانى .

واستمر الصراع الحميرى السبئى طيلة القرن الثالث الميلادى وكان النصر دائماً حليفاً لسبأ إلا أنه وبعد موت الملك نشاكرب حوالى عام ٢٠٠م . تمكن الحميريين من الاستيلاء نهائياً على مأرب .

وكانت الدولة الحميرية فى البداية تنحصر فى الركن الجنوبى الغربى للجزيرة العربية فارضة سيطرتها على التجارة البحرية مع شرق افريقيا ولهذا ، فى الغالب ، نجد أن اشتراك اكسوم فى الحياة السياسية لليمن اصبح نشطاً منذ منتصف القرن الثانىم . متخذاً فى البداية شكل حلف ضعيف مع سبأ ومن ثم اتحاد قوى مع الدولة الحميرية . لقد ساعد التطور الذى احرزته التجارة البحرية لعصر البطلمية ، والذى تحدثنا عنه ، على ازدهار الدولة الحميرية ،اذ ان تدمير ميناء قنا بواسطة شاعرم اوتر ادى لتحويل السفن التجارية للموانى الحميرية فى موزع وعدن . وفى نهاية القرن الثالث الميلادى صبحت الدولة الحميرية القوة الحاسمة فى جنوب جزيرة العرب.

حضارة اليمن القديم

١ـ اللغة والكتابة :

منذ الالف الثانية ق . م . كان سكان جنوب الجزيرة العربية من القبائل التى تتحدث بلغات ولهجات ذات صلة بعائلة اللغات السامية . وتسمى لهجات اليمن القديم ولغاته حسب تسمية الدول اليمنية القديمة ـ السبئية ، المعينية القتبانية والحضرمية . ونجد أن هنالك تشابهاً شديداً بين لغات اليمن القديم واللغات الاثيوبية ـ خاصة اقدم الاخيرة وهى الجيعوز . وتكون لغة اليمن مع اللغات الاثيوبية فرعاً خاصاً من اللغات السامية . ومن بين اللغات السامية نجد أن اللغة العربية وإلى حد ما اللغة العبرية اقوب بكثير من غيرها لهذا الفرع الخاص . وتعتبر اللهجات المهرية والسقطرية الحالية الحفيدة

لمباشرة للغة اليمنية القديمة كما ان هنالك بعض مفردات اللغة القديمة التى مازالت تستعمل فى لغة اليمن العربية المعاصرة .

لقد انتشرت اللغة العربية فى اليمن قبل الاسلام . وفى الفترة من القرن الرابع حتى السادس الميلادى بدأ سكان جنوبى الجزيرة العربية فى الاقلاع عن اللغات القديمة واستعمال العربية بديلا عنها . هذا وقد استعمل اليمنيون القدماء كتابة ابجدية تعتبر من أقدم الكتابات الابجدية فى العالم وهى بدون شك اقدم من الابجدية الاغريقية ويرجع تاريخها لنفس فترة ظهور الابجدية الفينيقية .

وتتكون ابجدية اللغة اليمنية القديمة (المسند) من ٢٠ رمزاً ترجع جذورها فى الأصل لكتابة سيناء التى يرجع تاريخ ظهورها لعام ١٥٠٠ ق . م . من شبه جزيرة سيناء . وفى نهاية الالف الثانية ق . م . استطاعت كتابة المسند أن تكتسب أشكالا ثابتة للرموز وان تبتدع اساليبها الخاصة . ويرجع تاريخ اقدم النقوش المعروفة للقرن الحادى عشر ق . م . الا ان ظهورها بأعداد كبيرة يرجع فقط للقرن الثامن ق . م . وقد استمر استعمال تلك الكتابة حتى نهاية القرن السادس الميلادى . وقد تم اشتقاق الابجدية الاثيوبية المعاصرة من الابجدية اليمنية القديمة .

كانت الكتابة منتشرة بشكل واسع . وحتى الآن تبلغ اعداد النقوش المعروفة لنا خمسة آلاف نقشت على الحجارة والبرونز . وقد كتبت الاعمال الادبية والوثائق على الجلد أو أوراق النخيل ولهذا فانه لم يتم العثور على ذلك النوع ، والذى استعملت لكتابته ما يعرف بالأحرف المائلة التى تختلف اختلافاً شديداً عن اشكال كتابة النقوش .

الصناعات اليدوية ، البناء المعمار والفنون الجميلة

تشهد اعمال الحرفيين اليمنيين القدماء على مدى المستوى الفنى العالى للصناعات اليدوية والفنون والتكنيك المعمارى : المدن والمعابد ، الاعمدة والنقوش ، التماثيل والاوانى البرونزية ومنتجات المجوهرات. ان كل تلك الاشياء لاتعكس فقط المستوى التكنيكى العالى وانما المستوى الرفيع الذى أحرزه التطور الفنى .

وبلغت صناعة الحجر مستوى تكنيكياً عالياً . شيدت المبانى بالالواح الحجرية التى تقطع وتشذب لتصبح متساوية ، ويتم وضع بعضها فوق الآخر بطريقة منظمة . وكثيراً ماتكون تلك الالواح ملمعة ومصقولة وتمتلىء بالاشكال التى تنقش عليها . لقد استطاع البناؤون ان يجدوا حلولا لاكثر المسائل التكنيكية المعقدة خاصة فى مجال الرى . ومما يلفت الانتباه حقاً رتابة الاساليب والترتيبات التى تتخذ لحجز مياه الامطار المندفعة من أعالى الجبال وتخزينها للاستفادة منها للرى فى الفترة بين موسم وآخر .

وقد أنشأت قنوات قطعت وسط الصخور أو كونت بوضع حجارة مقطوعة ، مثال سد مأرب ، لتساعد فى تجميع المياه فى السد . كما أن هذه القنوات بعد فواصل تدعم بجدران سميكة من الحجر لتحويلها عند تلك النقطة المحددة لخزانات ، وتبنى ابواب على تلك الخزانات يتم بواسطتها التحكم فى عملية توزيع المياه لقنوات صغيرة تمتد طولا لمسافات بعيدة مما يساعد على رى الحياض المزروعة بعيداً عن الخزان . ومازالت بعض تلك المنشآت الزراعية تستعمل حتى

يومنا هذا تاركة انطباعاً عظيماً للمستوى الرفيع للتطور الذى احرزته نظم الرى فى اليمن القديم.

وتشهد التماثيل الحجرية التى تصور رؤساء الافراد وكذلك ألوف النقوش عن مستوى الدقة التى تميزت بها اعمال الحرفيين. ان تلك التماثيل والنقوشات الدقيقة ذات الاشكال الرتيبة للرموز تشير، ولاشك، إلى مدى تطور الابداع الفنى للحرفيين اليمنيين فى تلك الحقبة التاريخية. فالنقوش المتأخرة المميزة للقرنين الخامس والسادس الميلادى تطلبت مجهوداً جباراً ومستوى عالياً لعملية الإبداع الفنى ليتم انجازها مع ملاحظة الاشكال المعقدة للرموز — حيث تميزت نقوش تلك الفترة عن غيرها باشكالها البارزة (كنحت الارضية حول الرمز ليصبح الرمز نفسه بارزاً — «نقش بارز»).

أما فيما يتعلق بالمصنوعات المعدنية فانها نالت قسطاً كبيراً من التطور يلاحظ فى كل المراحل التى تمر بها تلك المصنوعات من بداية التعدين وحتى مرحلة الصهر وصب التماثيل وسك النقوش. كثر استعمال البرونز الذى صنع منه الأوانى الجميلة واللوحات المنقوشة ومئات الالوف من التماثيل التى كرست لاغراض دينية وطقوسية. ونجد أن تلك التماثيل البرونزية تعكس الصورة الفوتوغرافية لصاحبها وقد تم انجازها بمستوى عال من الاداء الفنى.

وفى العصر المتأخر نجد ان اليمن اشتهرت فى كل منطقة الجزيرة العربية بأسلحتها التى اثنى عليها الشعراء العرب فى الجاهلية فى قصائدهم العديدة. وغالباً مايكون اليمنيون قد تفوقوا على سر الفولاذ الدمشقى فى القرنين الخامس والسادس الميلادى، ومما يدل على التطور الحقيقى

لليمن القديم هو ظهور تقسيم العمل حسب مجالات التخصص الدقيق حيث يقوم كل حرفى بانجاز الجزء المتعلق به بمهارة فائقة . هناك من يقوم بقطع الحجارة وآخر بصقلها وثالث بصياغة النقش بينما يقوم آخر بمحاولة توزيعه على اللوحة وأخيراً يأتى دور من يقوم بعملية نقش الرموز . وكانت النقوش والتماثيل المكرسة لاغراض دينية تجهز فى دكاكين حرفية خاصة تابعة للمعابد يعمل بها عشرات العمال ، ويستغل العبيد فيها فى الاساس ، بينما يكون أجر الحرفى عبارة عن « الدعوة » له بالبركة والعافية من الكهنة .

الحضارة الروحية ـ الديـــن

لقد كانت ديانة جنوب الجزيرة العربية ديانة فلكية : بمعنى انها كانت تقوم على أساس عبادة معبودات تجسدها اجرام سماوية ، كالزهرة والشمس والقمر وغيرها . وبغض النظر عن الاختلاف فى تسمية تلك المعبودات عند شعوب المنطقة ، فانه يمكن ادراجها كلها فى ثالوث موحد يتكون من الزهرة (عشتر) والشمس والقمر . ويسمى معبود القمر (ود) فى معين واوسان ، « عم » فى قتبان ، « سين » فى حضرموت ، و « المقه » فى سبأ . اما معبود الشمس فهو « نكرح » فى معين ، « ذات حميم » في حضرموت و « ذات بعدن » فى سبأ ، و « ذات صخرن » و « ذات رحبن » فى قتبان .

وبالاضافة لهذا الثالوث الاساسى هنالك عدد من المعبودات الثانوية أو المحلية أو القبلية . وفى كثير من الاحيان لايجىء ذكر لأسمائهم وانما يوصفون فقط « بآلهة معين » أو باختصار أكثر « الآلهة » .

والاساسي الذي يعبد

وقد كان عشتر هو الاله او المعبود الاكبر ويحتل دائماً المكانة

في كل جنوب الجزيرة العربية تحت اسم واحد ، الاولى في قائمة المعبودات ويكرس مكربو سبأ وملوك معين الشعائر

والطقوس لذكر اسمه .

أما الاله او المعبود الاساسي لكل دولة من دول جنوب الجزيرة العربية على حدة هو معبود القمر الذي يعتبر أباً لكل الشعب ، الشيء الذي يفسر إنتحال السبئيين في النقوش لقب « ابناء المقة » والقتبانيين « ودعم » . ولقد كان معبد « المقة » — أوام في مأرب (والذي يسمى حاليا محرم بلقيس) هو أكثر المعابد أهمية واحتراما على الاطلاق . كما أن معبود القمر كان بمثابة المعبود الاساسي في كل عواصم دول جنوب الجزيرة العربية : سين في شبوة (حضرموت) . عم في تمنع (قتبان) . كما أطلق ملوك اوسان على أنفسهم لقب « ابناء ور » ، ومكربو قتبان «بواكير عم» .

هذا ولقد كان لكل مدينة وقبيلة معبود — نصير . ويحتمل ان يكون المعبود النصير من المعبودات الثانوية ، مثال المعبود تالب في ريام . ولا يوجد اي دليل يشير لشكل الالهة او المعبودات إذ ان المعتاد هو التعبير عنها برموز في شكل حيوانات مقدسة وخلافها . وقد أعتبر الكبش او الثور أو الاسد المصنوع من الحجر رمزاً للمعبود « المقة » ، وكذلك الكبش او الثور الحجري المعبود « عم » وللمعبود « ود » في أوسان وقتبان . ونجد الثعبان في معين رمزاً للمعبود « ود » بينما هو « ثور » في قتبان . اما « عشتر » فقد اعتبر رأس الثور رمزا له . نجد أن قرص الشمس المنقوش فوق هلال افقي يرمز لمعبود الشمس « ذات حمم » ،

ولمعبود القمر « المقة » ، عم ، « ود » بينما اعتبرت الهراوة او البرق او النجمة (او القرص) او مفصل اليد رمزا للمعبود « المقة » ، ومفصل اليد ايضا « لعشتر » (ذات حجم) . واعتقد اليمنيون القدماء أن المعبودات تعيش فى المعبد الخاص بها والتي اعتبرت ملكاً لها . ويقوم كهنة المعبد بتلقي الهبات والهدايا ويستمعون للدعاءات والابتهالات . ويقوم الكهنة باجابة المناشدات التي يوجهها الزائرون للاله فى المعبد . والذي به عون انه رد من المعبود على تلك المناشدة . لذلك نجد ان الزوار لا يتوجهون بمناشداتهم ودعواتهم وابتهالاتهم للمعبود بشكل عام ،ليس فقط لعشتر او المقة الخ وانما للمعبود المعين الذين يتواجدون بمعبده للصلاة أو لتقديم الهدايا . فالدعوة تتكون مثلا لعشتر سيد (معبد) بحر خشب » او « المقه سيد (معبد) او ام » .

ان البقايا التي حافظ عليها الزمن من تلك المعابد تشير إلى مدى رقى وعظمة الفن المعماري . كانت اماكن التعبد فى البداية عبارة عن الأماكن العادية التى أعتقد الأقدمون ان المعبودات تعيش بها – نبع او صخرة او شجرة . حيث اعتبرت المنطقة الواقعة حول ذلك المكان موقعا مقدسا . وتجلب الهدايا لتلك المواقع وتقام الصلوات . وبدأ الشكل البدائي للمعبد بتشييد جدران تحيط بالموقع المقدس (كان هذا الشكل مميزا فى البداية لمعبد أوام فى مأرب ، ومعبد المقة فى صرواح والمساجد التى تقع على بعد ٢٠ كيلومترا شرق مأرب) . وفيما بعد اصبحت مبانى المعابد أكثر تعقيدا فقد نشأت الاعمدة عند المدخل وشيدت صالات داخل السور واحيط المحراب بعدد من الأعمدة لتفصله عن بقية الصالات . وفى معابد الفترة المتأخرة يكون الشكل مجرد مربع أو مستطيل تزينه

لاعمده من الداخل وفى المدخل ، ويشيد فى منتصفه « قدس الاقداس» أي المكان المخصص لتواجد المعبود نفسه . وامام قدس الاقداس يقام حوض من الحجر البرونز يمتلئ بالماء الخاص بالنظافة الطقوسية .

وتزين المعابد بالتماثيل والنقوش التى تصور الحيوانات المقدسة والكهنة ومقدمي الضحايا ومناظر ميثولوجية اخرى . وتمتلئ الأعمدة بالنقوش المكرسة للمعبود وكذلك المكرسة لمباركة اتمام عملية البناء . وتجرى فى المعابد الاعمال اليومية العادية والاحتفالات فى الاعياد الدينية . وكان لكل معبد احتفالاته واعياده الخاصة التى تتم خلالها الزيارات المقدسة وتقام الشعائر والطقوس الخاصة برعاية المذبح او المعبد الخ . وكان من المفروض اداء الأغتسال والطقوس قبل الدخول للمعبد او البدء فى اقامة الشعائر . وتختلف طرق الاغتسال المطلوبة ، منها ان يتم الإغتسال بعد خلع كل الملابس او بملابسه .

لعبت المعابد دوراً كبيراً فى ا لحياة الاقتصادية لجنوب الجزيرة العربية القديمة فقامت بجمع العشر من المحصولات الزراعية والثروة الحيوانية والضرائب المخصصة للمعبودات . هذا بالإضافة إلى الاشكال الاخرى المختلفة من العوائد والهدايا . كما ان المعابد لعبت دورها فى إدارة شؤون الدولة .

كانت صور من الوثائق والقرارات التى تصدرها المحاكم والقرارات والاسر الملكية تحتفظ بالمعابد . ويقوم الكهنة بحل النزاعات المختلفة وكذلك بتخطيط حدود الاراضي الزراعية . كما ان الكثيرين من الكهان يقومون باداء مهام موظفى الدولة .

وبالإضافة للمعابد الاساسية كانت هناك معابد قبلية يوجد بها مذابح ومحراب ، كما بها نقوش مكرسة للمعبود . وتتم عملية تقديم الهدايا والضحايا فى بعض الاحيان على مذابح خاصة خارج المعابد امام تماثيل حجرية .

وتقع على عاتق المواطنين واجبات دفع الضرائب للمعابد وتقديم الضحايا والهدايا واداء الطقوس الدينية الخاصة وكذلك تنفيذ بعض التعليمات المحددة ذات الصفة الطقوسية والاخلاقية . وكانت هناك واجبات عامة يقوم بتنفيذها الكهان وفى بعض الاحيان ممثلو الدولة بما فى ذلك المكرب نفسه . وكان مكربو سبأ يقومون بتقديم ضحايا المناشدة وضحايا شكر وخمر المعبودات . كما انهم يقومون بعملية صيد الطقوس وإقامة الموائد الطقوسية وادارة المحاكم الدينية الخ .

ويقوم الافراد العاديون ايضا بتقديم الضحايا والهدايا للمعابد التى تقدم تعبيراً عن الامتنان والشكر لميلاد طفل او الشفاء من مرض او الرجوع من المعارك الحربية الخ . كما ان هنالك نوعاً من الهدايا يقدم بناء على الاوار الدينية الالهية كتنفيذ نذر الخ . وفى البداية كان نوع الهدية يرتبط بنوع المناشدة — مثال ذلك تقدم الابقار هدية بمناسبة سلامة القطيع (احيانا تقدم حوالى ٣٠ إلى ٤٠ رأس) ، او سلامة الناس يقدم للمعبد بعض الافراد لينضموا لخدم المعبود . وفيما بعد اصبحت الهدايا رمزية اذ استبدلت الابقار والحيوانات الاخرى بتماثيل من البرونز ، واستبدل الناس بتماثيل او بنقوش مكرسة للمعبود وشكره . وقد كانت اعداد تلك الهدايا ضخمة اذ تشكل النقوش المكرسة للمعبـودات

والتماثيل اغلبية الآثار التى حفظها لنا الزمن . كما كرست للمعبوات ايضا اسوار التحصينات ومنشأت الري وغيرها . وقد اهديت للمعابد الاراضي الزراعية (مزارع النخيل والعنب وغيرها) ومنشآت الرى (ابار واحواض مياه وقنوات وغيرها) وقد لعب الكهنة المتنبئون دورا هاما فى نشاطات المعابد اذ يحق لهم تحليل الرؤيا المختلفة والاصوات والأحلام . وهم الذين يوصلون الاوامر الالهية الخاصة باحضار الهدايا وتقديم الضحايا وإقامة الطقوس والشعائر الدينية الخ . كذلك يقومون بحل النزاعات حول الاراضي الزراعية .

وقد احتلت الطقوس الخاصة بتقديس الموتى مكانا خاصا فى بانثيون العبادات اليمنية القديمة . فالميت ومنزله الجديد ان كان كهفا او مقبرة ، غالبا ما يوضع برفقة ادواته المنزلية واسلحته وادواته الاخرى. كما يوضع لوح من الحجر عليه طعام ، كما يوضع عليه تمثال يصور رأس المتوفى وعلى جانب اللوح ينقش اسم المتوفى وتوضع فى مواقع عديدة من المدفن تماثيل لرؤوس حيوانات مقدسة .

لاقت أعمال السحر رواجاً واسعاً كاستعمال التمائم — التابو — وكذلك لاقى التعبير السحرى « وداب » رواجاً خاصاً. واستعمل هذا التعبير فى جنوب الجزيرة العربية فى المناطق التى يعبد فيها معبود القمر تحت اسم آخر. وأنتشرت التابو (أعمال السحر) على تصرفات ونشاطات مختلفة — فمثلا لقب « مكرب » يحق استعماله فقط لمن يحملونه ، كما يمنع البسطاء من إستعمال اسماء الملوك السبئيين القتبانيين على أنفسهم « المكربين والملوك الاوائل » .

اليمن في القرنين الرابع والسادس الميلادي

فى القرن الرابع الميلادى شهدت الحياة فى اليمن تحولات وتبدلات ضخمة وكان التركيب الإجتماعي قد تعرض فى البداية لتبدلات كبيرة اذ نفذت تماما مصادر الرقيق وأصبح عملهم تدريجيا غير منتج خاصة بالمقارنة مع عمل الفئات التابعة الاخرى من المنتجين الذين يملكون ادوات إنتاجهم الخاصة ، والاراضي فى بعض الاحيان . وللارتفاع بمستوى الإنتاجية لعمل العبيد لجأ الملاك أكثر فاكثر لمنحهم اراضي لفترة طويلة بغرض استعمالها ولمدهم بأدوات الإنتاج وحددوا لهم نسبة معينة من الاتاوة. وبذلك أخذ العبيد فى الاقتراب التدريجي من بقية الفئات التابعة من حيث الوضع الإجتماعي . وفى نفس الوقت أخذ زعماء العشائر — والحكام المحليين وارستقراطية القبائل والتي قويت شوكتهم خلال الحروب الطويلة فى الفترة السابقة . ونتيجة للتصدع الشديد الذي اصاب السلطة المركزية اخذوا فى الهجوم على فئات السكان الاحرار فى مناطقهم ووقع سكان القرى والمدن الصغيرة فى التبعية للنبلاء وتحولوا بذلك لمزارعين يقومون بدفع الاتاوة او مستأجرين للارض التي اصبحت ملكية خاصة للنبلاء .

وفى القرن الرابع الميلادى نتيجة لتلك التحولات الجوهرية اخذت فى التطور العلاقات الأقطاعية الجديدة . كما ادت تلك بدورها لتحولات جذرية فى الايديولوجية والثقافة فى كل اليمن القديم .

وفى القرن الاول والثالث الميلادى ، بدأ دخول الديانات التوحيدية — اليهودية والمسيحية لليمن ومن ثم بدأت فى القرن الرابع

مسيرتها المظفرة . ومن المعروف أن ظهور الاديان التوحيدية نفسه، وبخاصة انتشارها الواسع ارتبط ارتباطا وثيقا بأزمة المجتمعات العبودية وتطور العلاقات الاقطاعية .

هذا وقد لعبت بيزنطة دورا هاما فى نشر الديانة المسيحية فى اليمن ، وبخاصة الامبراطور قسطنطين الثانى (٣٣٧ -٣٦١م) الذى ارسل سفينة محملة بأثمن الهدايا للدولة الحميرية . وقد تمكن فيوفيل انيدوس رئيس تلك السفينة من تحويل الحاكم الحميري للمسيحية ومن بناء كنيستين فى ظفار وعدن . والمهم هنا هو ان نشاط معبد « المقة » فى مأرب توقف تماما فى النصف الاول من القرن الرابع . ولم يحرق ذلك المعبد وانما انزوى ولم يعد هناك من يترك نقوشا مكرسة لهذا المعبود ، تلك النقوش التي ما زالت حتى الان مصدرنا الاساسي لدراسة تاريخ اليمن القديم بوجه عام . وابتداء من القرن الرابع فان الباحث يجد امامه بعض الوثائق المتقطعة التي تشير إلى فترات واحداث مختلفة ومتباعدة وغير مرتبطة بعضها ببعض . ونجد أن النقوش الملكية قد توقفت عن ذكر المعبودات القديمة تماما من الثلث الاخير للقرن الرابع تقريبا . إلا أن اشاراتهم للالهة فى نفس الوقت لم تتسم بالطابع المسيحي او اليهودي الصرف . فقط يمكن القول انها كانت تحمل الطابع التوحيدي اذ ان مخاطبة الملوك توجه لاله واحد .

وفى نهاية القرن الرابع الميلادي اصبحت الدولة الحميرية خارجيا موحدة وتمتد حدودها لتشمل كل الاراضي اليمنية باستثناء حضرموت التي اصبح اخضاعها الهدف الاساسي للملوك الحميريين والذين انتحلوا نهائيا منذ النصف الاول للقرن الرابع اللقب الطويل « ملوك سبأ وذو

ريدان وحضرموت » . كما أن مصالح الدولة الحميرية امتدت بعيدا خارج حدود الارض اليمنية لتلتقي مع مصالح الدول العظمى للشرق القديم – بيرنطة وايران . وقد نشب صراع حاد بين بيرنطة وايران بهدف السيادة السياسية والسيطرة على الطرق التجارية ، قبل كل شيء « طريق الحير » إلى الهند والصين . وقامت بيزنطة بمحاولة استغلال الطرق التجارية التي تجنبها العبور بالاراضي الايرانية وذلك باستعمال الطرق التي تمر بأثيوبيا واليمن مباشرة إلى الهند . وفى مثل تلك الظروف وتحت التأثير المباشر لذلك الصراع كانت مسيرة التاريخ اليمني فى القرنين الخامس والسادس الميلادي .

وفى الرابع الاول للقرن الخامس الميلادي قام الملك ابكرب اسعد ، وهو المعروف باسم « اسعد الكامل » فى روايات الاخباريين بمحاولة للقضاء على الهجمات المستمرة التي كانت تشنها القبائل العربية على دولة حضرموت و كذلك لانهاء اعمال النهب والسلب على الطرق التجارية .

هذا وكانت الهجمات العربية تلك قد بدأت فى القرن الاول الميلادي فى عصر الملك وهب آل يحز عندما اعتدى البدو على المناطق الجبلية ، إلا انهم طردوا ودحروا بواسطة قبائل سهرت و كندة . وقد قام الملك شاعرم اوتر بحملات وصلت حتى شمال الجزيرة العربيـة وكذلك فعل الشرح الثاني وغيرهما من الملوك . وكنتيجة لتلك الحملات تم وقف الهجمات العربية وتم توطين جزء من القبائل العربية فى اليمن بينما ضم جزءا اخر لجيش دولة حضرموت . وفى عصر الملك ياسر يهنعم نجد أنه قد انشأ منصباً خاصاً « قائد القوات العربية الملكية » .

وقد قام الملك أبكرب أسعد فى عام ٤٢٥ ميلادية بحملة ناجحة لوادي الحسيلة اضاف بعدها لقبا جديدا لالقابه الطويلة « ملك اعراب التهائم والهضاب » .

هذا وقد تمكن ابكرب من إعادة الحياة لمملكة كندة التى تم تدميرها بواسطة امرئ القيس . وقد جعلها ابكرب تابعة لدولة حمير .

وكما سبق ان اوضحنا ان التسلل الواسع فى منطقة اليمن للعرب الرحل ان كان على شكل مستوطنين ملكيين او قوات عسكرية ملكية او فى شكل غزوات ترك اثراً سلبياً مدمراً على تطور الحضارة اليمنية القديمة .

ويرى الاخباريون أن اسعد الكامل كان غازيا عظيما ونسبوا إليه فتوحات معينة كما رووا انه تهود وطلب من قومه الدخـــول فى اليهودية . ولكن ما تم العثور علية من النقوش الخاصة به لا تحمل أية مميزات يهودية واضحة .

ومن ملوك القرن الخامس المشهورين شرحبيل يصعغ بن ابكرب اسعد (تقريبا ٤٤٥ — ٤٦٥ م) والذى قام باعادة تشييد سد مأرب بعد ان تعرض للاضرار الناتجة عن الفيضانات . وكذلك شيد قصراً فى ظفار .

وفى نهاية القرن الخامس ونسبة لتنشيط الصراع بين بيزنطة وايران بهدف اخضاع الجزيرة العربية اصبح الدين سلاحا استغل فى الصراع السياسي وتحولت المسيحية لحزب سياسي يدافع عن مصالح بيزنطة ، بينما اصبحت اليهودية تدافع عن مصالح ايران . وقد وجد ذلك الصراع إنعكاسا فوريا فى النقوش . فلقد ظهرت نقوش يهودية جاء

فيها ذكر « لشعب اسرائيل » و « للرب اليهودي » ، كما ظهرت أخرى مسيحية ذكرت المسيح والثلاثية المقدسة . وقد اصبح الصراع الديني السياسي في بداية القرن السادس في قمة حدته وتحول لمثابة عملية اضطهاد تمارسها الجانبان ضد بعضها البعض .

وقد أصبح مرثـد عيلان يصغر المعروف لنا من النقش ٤٩٩: الملك الحميري الاول الذي اعتنق اليهودية . وبالطبع فان ذلك لم يرق للدوائر التابعة لبيزنطة والتي تدعمها اثيوبيا. وقد قام خليفة مرثد ، معبد كرب بعفر ، بوضع نقش توحيدي مبهم يرجع تاريخه لعام ٥١٦م ومن الغالب إنه وفي نفس ذلك العام او العام الذي تلاه تمكن اليهودي يوسف يثار من ابعاد معبد كرب عن الحكم . ويعرف يوسف أمسار في التماليد العربية بأسم ذو نواس وفي التقاليد السورية باسم مسرور . هنا وقد اضطر يوسف أمسار لمحاربة القوات الاثيوبية في ظفار ، كما خاض حربا ضد نجران — المدينة المسيحية . وفي عام ٥١٧ م تمكن يوسف أمسار من التنكيل بأعدائه ودحر الاثيوبيين وحرق الكنائس . كما نجد أن قصة محاولته لتحويل نبلاء نجران المسيحين لليهودية وجدت إنتشاراً واسعاً في الاخبار المسيحية .

وقد دفعت السياسة المركزية الصارمة التي اتبعها يوسف جزءا كبيرا من النبلاء الحميريين للابتعاد عنه ، وفي عام ٥٢٥م نزلت القوات الاثيوبية التي تدعمها بيزنطة إلى الاراضي اليمنية وقتل يوسف في المعركة بعد ان فر عنه النبلاء .

وعين النجاشي النبيل الحميري سميفع ذايزن . الذى تحول للمسيحية ملكا على اليمن ، بينما بقيت القوات الاثيوبية بالاراضي اليمنية . وفى حوالى ٥٣٥م تمكن احد القادة الاثيوبيين ابرهه من ابعاد سميفع ليصبح نفسه ملكا على جنوب الجزيرة العربية منفصلا عن اثيوبيا . وفيما بعد اعترف ابرهة بسلطة النجاشي بينما استمر فى إدارة شؤونه باستقلالية تامة . وعقد حلفا مع بيزنطة واستمر فى تنفيذ سياسة ملوك حمير النشطة فى الجزيرة العربية بتأييده لقبائل كندة . ويحتمل انه قام اكثر من مرة بحملات لغزو اواسط الجزيرة العربية لارهاب سكانها المتحالفين مع إيران .

وقام سيف بن معد كرب ذو يزن حفيد سميفع . بتأييد ودعم من ايران فى عام ٥٧٧م باستلام السلطة فى اليمن بعد ان تمكن من ابعاد يكسوم بن ابرهة على الحكم . إلا أن سيف بدوره ابعد عن الحكم بواسطة الابن الثاني لابرهه — مسروق . وفى حوالى ٥٩٨ —٥٩٩ م دخلت القوات الفارسية اليمن وتم تحويل البلاد لمنطقة تابعة لايران . وهكذا انتهت فترة وجود الدولة الحميرية .

لقد ساعـد ظهور العلاقات الاقطاعية فى اليمن من اضعاف العلاقات الاقتصادية بين المناطق المختلفة ولاضعاف الدولة. كما ان الحروب التي شهدها النصف الاول من القرن السادس الميلادي قضت على التجارة العالمية التى تحول مركزها إلى اثيوبيا . كما ان ظهور اليهودية والمسيحية فى المنطقة أدى إلى اندثار الحضارة اليمنية القديمة. فمنذ النصف الثاني للقرن السادس الميلادي اختفت النقوش واخذت اللغة القديمة فى الاندثار لتحل محلها اللغة العربية ، وتقسمت البلاد لعدة مقاطعات صغيرة .

لقد تركت الحضارة اليمنية القديمة بصماتها الواضحة على الحضارة الاسلامية . ففي اليمن بالذات بــدأت في القرنين الرابع والخامس الميلادي في الظهور ديانة توحيدية مبهمة خاصة نشأت بالاعتماد على الاختلاط الموجود بين اشكال الديانة القديمة لجنوب الجزيرة العربية بالديانة اليهودية والمسيحية .

وقد ادى التطور اللاحق لهذه الديانة الجديدة ، والتي تشكل خليطاً وتداخلا عضوياً بين اليهودية والمسيحية والديانة القديمة لجنوب الجزيرة العربية مكيفة حسب الاحتياجات الاجتماعية للسكان المستقرين والرحل في المنطقة ، أدى إلى ظهور دين عــالمي جديد في بداية القرن السابع الميلادي في منطقة اواسط الجزيرة العربية — الاسلام .

وعن النجاشي النبيل الحميري سميفع ذايزن . الذى تحول للمسيحية ملكا على اليمن ، بينما بقيت القوات الاثيوبية بالاراضي اليمنية . وفى حوالى ٥٣٥م تمكن احد القادة الاثيوبيين ابرهه من ابعاد سميفع ليصبح نفسه ملكا على جنوب الجزيرة العربية منفصلا عن اثيوبيا . وفيما بعد اعترف ابرهة بسلطة النجاشي بينما استمر فى إدارة شؤونه باستقلالية تامة . وعقد حلفا مع بيزنطة واستمر فى تنفيذ سياسة ملوك حمير النشطة فى الجزيرة العربية بتأييده لقبائل كندة . ويحتمل انه قام اكثر من مرة بحملات لغزو اواسط الجزيرة العربية لارهاب سكانها المتحالفين مع إيران .

وقام سيف بن معد كرب ذو يزن حفيد سميفع ، بتأييد ودعم من ايران فى عام ٥٧٧م باستلام السلطة فى اليمن بعد ان تمكن من ابعاد يكسوم بن ابرهة على الحكم . إلا أن سيف بدوره ابعد عن الحكم بواسطة الابن الثاني لابرهه ـ مسروق . وفى حوالى ٥٩٨ ـ ٥٩٩ م دخلت القوات الفارسية اليمن وتم تحويل البلاد لمنطقة تابعة لايران . وهكذا انتهت فترة وجود الدولة الحميرية .

لقد ساعـد ظهور العلاقات الاقطاعية فى اليمن من اضعاف العلاقات الاقتصادية بين المناطق المختلفة ولاضعاف الدولة. كما ان الحروب التي شهدها النصف الاول من القرن السادس الميلادي قضت على التجارة العالمية التي تحول مركزها إلى اثيوبيا . كما ان ظهور اليهودية والمسيحية فى المنطقة أدى إلى اندثار الحضارة اليمنية القديمة. فمنذ النصف الثاني للقرن السادس الميلادي اختفت النقوش واخذت اللغة القديمة فى الاندثار لتحل محلها اللغة العربية ، وتقسمت البلاد لعدة مقاطعات صغيرة .

لقد تركت الحضارة اليمنية القديمة بصماتها الواضحة على الحضارة الاسلامية . ففي اليمن بالذات بـــدأت فى القرنين الرابع والخامس الميلادي فى الظهور ديانة توحيدية مبهمة خاصة نشأت بالاعتماد على الاختلاط الموجود بين اشكال الديانة القديمة لجنوب الجزيرة العربية بالديانة اليهودية والمسيحية .

وقد ادى التطور اللاحق لهذه الديانة الجديدة ، والتى تشكل خليطاً وتداخلا عضوياً بين اليهودية والمسيحية والديانة القديمة لجنوب الجزيرة العربية مكيفة حسب الاحتياجات الاجتماعية للسكان المستقرين والرحل فى المنطقة ، أدى إلى ظهور دين عـــالمي جديد فى بداية القرن السابع الميلادي فى منطقة اواسط الجزيرة العربية ــ الاسلام .

الصفحة

الفهرس

– جنوب الجزيرة العربية من الألف الثانية حتى بداية القرن العاشر قبل الميلاد (نشوء الدول العبودية)	٧
– جنوب الجزيرة العربية في الفترة من القرن العاشر حتى الخامس ق.م «عصر المكارب»	١٥
– جنوب الجزيرة العربية في الفترة من القرن الرابع حتى الأول ق.م.	٢٩
– العلاقات التجارية والثقافية لجنوب الجزيرة العربية مع الأقطار الأخرى	٣٩
– جنوب الجزيرة العربية من القرن الأول حتى الرابع الميلادي	٤٥
– أكسوم والتغلغل الأثيوبي في جنوب الجزيرة العربية.	٥٣
– حضارة اليمن القديم	٦١
– اليمن في القرنين الرابع والسادس الميلادي	٧١

/١٩٠

هذا الكتاب

لقد كانت الجزيرة العربية بقعة من البقاع التي سكنها الإنسان منذ العصور التاريخية . وفي اليمن ظهرت حضارات لازال البحث عنها يتسارع باضطراد وتثير فضولا لدى المؤرخين العرب والمستشرقين .

وفي هذا الكتاب يحاول العالمان السوفيتيان ج . م . بابور . و . أ . لوندن دراسة تاريخ اليمن القديم من خلال بعض النقوش التي توفرت حتى الآن . حيث نجد استعراضاً للحالة الإقتصادية والإجتماعية والسياسية السائدة آنذاك ، مع بعض التتبع لجوانب مهمة في الحضارة اليمنية كاللغة والكتابة ، الصناعات اليدوية والبناء والمعمار والفنون الجميلة ، والديانة والعبادات وغيرها .

يندرج هذا الكتاب ضمن الجهود الرامية إلى الكشف عن الحضارة اليمنية القديمة .

ثمن ٢٥٠ فلساً